جمعية أنصار السنة
فــرع بلبيــس
اللجنــة العلميــة

كتاب الواعظ

٥ـ٦

جمادى الأولى والآخرة ـ ١٤٣٨هـ

إشـراف

صبري بن محمد عبد المجيد

أحمد بن سليمان أيوب

إعــداد

اللجنة العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

جذور المشكلة ومنهج الإصلاح

الحمد لله ذي الطول والآلاء، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الرسل والأنبياء، وعلى آله وأصحابه الأتقياء الأنقياء. أما بعد

فإن أمة الإسلام قد ولُدِت فتيَّةً كما قال رسول الله ﷺ: **وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلاَءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا.** (١)

وإذا كان السلف الصالح قد عاشوا زمن العافية فإن الأمة قد ضعفت عافيتها، وصرنا إلى زمن نُنكر فيه أكثرَ مما نعرف، منكرات في المعتقدات منكرات في السلوكيات منكرات في الأفكار والغايات بل منكرات في سبل الإصلاح وفي النظر إلى زمن العافية الأولى.

ورغم تنوع مشاريع الإصلاح عبر قرون متطاولة فإنها لم تفلح في تغيير واقع الأمة واستعادة زمن العافية والعزة، والسبب في ذلك جليٌّ كالشمس في رابعة النهار؛ قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد: ١١]، وقال: {أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} [النساء: ١٣٩]

ومن هنا فإن أيَّ خطة للإصلاح لابد أن تقوم على الأساس الذي قامت عليه عافية الأمة الأولى فقد أرسل الله نبيه الخاتم في أمة لا تحمل من مقومات السيادة شيئًا وما امتلكت من أسباب الحضارة ناقةً ولا جملاً، بل كان حالها كما قال عمر بن الخطاب: إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالإِسْلاَمِ. (٢)، أمة قد مزقتها الحروب والعداوات فألف الله

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (١٨٤٤)

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم في المستدرك (٢٠٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (١/ ١١٨)

بين هذا الشتات وجمع أولئك الفرقاء المتشاكسين {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [آل عمران: ١٠٣]

ثم أعز الله أمة الإسلام وفتح الله لها البلاد وقلوب العباد حتى سادت الأمم من حولها، ثم بعد ذلك فُتِح بل كُسِر (١)باب الفتن على الأمة واقتتل المسلمون وظهرت الأهواء والفرق، ومن ثَمَّ ظهرت محاولات الإصلاح ولكن كما قال ابن مسعود: وكم من مريد للخير لن يصيبه. (٢)

لقد كان من أوائل محاولات الإصلاح الفاسدة ما فعله أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي حين خرجوا على الخليفة الراشد الثالث ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه ذلكم الرجل الذي تستحي منه الملائكة، ولكن ما استحى منه أهل الجهل وأصحاب الهوى.

ثم خرج الخوارج بعد ذلك على الأمة بدعوى الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فاستحلوا الدم الحرام وكان من جرائمهم قتل الخليفة الراشد الرابع ابن عم رسول الله علىّ بن أبي طالب رضي الله عنه زوج سيدة نساء أهل الجنة فاطمة وأبو الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، ويا ليتهم ندموا بعد قتله أو تابوا بل قام شاعرهم (٣) – قبحه الله– ليمدح أشقاهم عبدَ الرحمن بن ملجم قاتل علي رضي الله عنه فيقول:

يا ضربة من تقي ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

---

(١) انظر قول عمر لحذيفة عن باب الفتن: أيكسر أم يفتح؟ قال: يكسر ،أخرجه البخاري (٥٢٥).

(٢) أخرجه الدارمي (٢٠٤)، وصحح إسناده الألباني في الصحيحة (٥/ ١٢).

(٣) هو عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي البصري، [ت: ٨١هـ] كان أولا من أهل السنة والجماعة، فتزوج امرأة من الخوارج حسنة جميلة جدا فأحبها، وكان هو دميم الشكل، فأراد أن يردها إلى السنة فأبت، فارتد معها إلى مذهبها. تاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٩٨١) ،البداية والنهاية (١٢/ ٣٥٢).

إني لأذكـره حينا فأحسبه ... أوفى البرية عنـــد الله ميــزانا (١)

فانظر كيف بلغ الشيطان منهم أن جعلهم يعتقدون أن صلاح الأمة في قتل علي ﷺ؟!

ثم إن فريقا من المسلمين ظن أن الإصلاح إنما هو في الفلسفات المستوردة والعلوم العقلية المجردة؛ فترجموا كتب اليونان والهنود والفرس ودرسوها وصنَّفوا فيها، حتى اختلطت مسائل الفلسفة والكلام بعلم العقيدة فماذا كانت النتيجة؟! لقد أدخلوا في عقائد المسلمين من الألفاظ والمسائل والمعاني ما ليس منها، فاضطر أهل العلم للرد عليهم حتى ظن البعض صعوبة علم التوحيد لما أقحم فيها من هذه المسائل.

وهذه شهادة من سلك هذا الطريق وخاض في الفلسفة والكلام حتى النخاع.

قال الرازي:

نهـاية إقـدام العقـول عقـــال ... وغاية سعـي العالمـين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصـل دنيـانـا أذى ووبـال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه: قيل وقالـوا (٢)

نقل ابن الجوزي عن الوليدبْن أبان الكرابيسي، أنه لما حضرته الوفاة قَالَ لبنيه :تعلمون أحدا أعلم بالكلام مني؟ قالوا :لا ،قَالَ: فتتهمونني؟ قالوا :لا، قَالَ: فإني أوصيكم أتقبلون؟ قالوا :نعم ،قَالَ :عليكم بما عَلَيْهِ أصحاب الحديث فإني رأيت الحق معهم

وكان أَبُو المعالي الجويني يَقُول لقد جلت أهل الإسلام جولة وعلومهم وركبت البحر الأعظم وغصت فِي الذي نهوا عنه كل ذلك فِي طلب الحق وهربا من التقليد والآن فقد

(١) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٧٤)

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٢٤٤)

رجعت عَن الكل إِلَى كلمة الحق عليكم بدين العجائز فَإِن لم يدركني الحق بلطيف بره فأموت عَلَى دين العجائز ويختم عاقبة أمري عند الرحيل بكلمة الإخلاص فالويل لابن الجويني.

وقال أَبُو الوفاء ابن عقيل لبعض أصحابه أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض فَإِن رضيت أن تكون مثلهم فكن وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بَكْر وعمر فبئس مَا رأيت، قَالَ وَقَدْ أفضى الكلام بأهله إِلَى الشكوك وكثير منهم إِلَى الإلحاد تشم روائح الإلحاد من فلتات كلام المتكلمين (١)

ثم تطاولت الأزمان وتقدم الغرب على المسلمين في مجال الحضارة المادية فطلب المسلمون الإصلاح في بعث شبابهم إلى بلاد الغرب لينقلوا إلينا علومهم لينهض المسلمون من كبوتهم ويستيقظوا من ثباتهم، ولكن الحقيقة أن الكثير ممن ذهب إلى الغرب لم يأتِ بعلوم الغرب النافعة لإصلاح واقع المسلمين بل أتوا بأفكارهم الهدامة من علمانية أو ليبرالية وغير ذلك ليوفر هؤلاء المبتعثون على أعداء الإسلام الجهد والطاقة في حرب الإسلام من داخله وعلى أيدي أبنائه.

وإذا كانت هذه هي جذور المشكلة فكيف يكون الإصلاح؟

إن نية الإصلاح وحدها لا تكفي لتحقيقه بل لابد أن يسلك المصلح المسلك الشرعي في إصلاحه؛ وقمة النماذج في ذلك أنبياء الله ورسله حيث كان الإصلاح مقصود دعوتهم؛ وقد جاء منهج الرسل في الإصلاح ملخصًا في قصة شعيب عليه السلام؛ {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص: ٧٧)

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: ٨٨]

الأساس الأول: وضوح المنهج بأن يكون منهج الإصلاح والقائم به على بيِّنة من الله وأن يكون المنهج قائم على الأصول الصافية من العقيدة الصحيحة والأحكام الثابتة.

وإذا كان القائم بالإصلاح على بينة من الله فلا يضره من خالفه، قال تعالى: {قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ} [الأنعام: ٥٧]

الأساس الثاني: موافقة الشرع قولا وفعلا

قال ابن كثير: يقول لهم أرأيتم يا قوم: {إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي} أي: على بصيرة فيما أدعو إليه، {وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا} قيل: أراد النبوة. وقيل: أراد الرزق الحلال، ويحتمل الأمرين. (١)

فمنهج الأنبياء قائم على الاتباع وليس على الهوى والابتداع ، من أجل ذلك فينبغي للقائم بالإصلاح أن يكون قدوة بفعله قبل قوله؛ وهذا ما جاء على لسان شعيب عليه السلام: {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ}؛ قال الثوري أي: لا أنهاكم عن شيء وأخالف أنا في السر فأفعله خفية عنكم، كما قال قتادة في قوله: {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ} يقول: لم أكن لأنهاكم عن أمر وأركبه. (٢)

الأساس الثالث: تجريد النية والتوكل على الله

إن تجريد النية ركن من أركان الإصلاح ومن ثم فإن القائمين بالإصلاح يصبرون على ما يلقون من أذى لابد منه :{يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٤٤)

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٤٤)

وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [لقمان: ١٧]

وتجريد النية يستلزم الإذعان للحق والرجوع إليه وقبوله ممن قاله كائنا من كان.

الأساس الرابع: اعتقاد أن التوفيق للإصلاح بيد الله وحده

إن القيام بالإصلاح مهمة شاقة ولا ينبغي لمن تصدى لها أن يركن إلى قدراته وطاقاته فقط بل لابد أن يعلم أن الهداية والتوفيق بيد الله وحده، {إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: ٨٨]

وأخيرًا يبقى هذا الوعد الرباني قائمًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف: ٩٦]

والحمد لله أولًا وآخرًا.

المجاهرة بالمعاصي والمنكرات

حقيقة المجاهرة صورها مخاطرها سبل الوقاية منها

مِنْ الظلمِ أن يُسيءَ المرْءُ إلى من أحسن إليه، وأن يعصيه في أوامره، وأن يخالف تعاليمه. . ويزدادُ هذا القبحُ وذلك الظلمُ حين يُعلن المرءُ مخالفته ويُجاهر بها، ولا يبالي ولا يخاف ولا يستحي من ربه الذي يراه ويسمعه، وهو الذي أحسن إليه وجاد عليه وتكرّم وتفضل سبحانه، لذلك كانت العاقبة وخيمة، **عن أبي هُرَيْرَةَ** ﷺ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلاَنُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ**)). (١)

إنها المجاهرة بالمعاصي والمنكرات. بلية عُظمى، ورَزية كُبْرَى؛ أن يتبجّحَ المرء بمعصيته لله عز وجل، ويُعلنها صريحة مدوية بلسان حاله ومقاله، ناسياً أو متناسياً حق الله وفضله عليه

-تعريف المجاهرة وبيان حقيقتها

المجاهرة بالمعاصي والمنكرات ١-: أن يرتكب الإنسان الإثم علانية، ويقع في المعصية جهارا، أمام أعين الناس وأنظارهم، بدون حياء ولا خجل.

٢- أو: أن يرتكبَ المرء المعصية سرّا فيسترُه الله عزّ وجلّ، ولكنّه يُخبرُ الناس بما ارتكبه من الذنب والإثم، مستهينا بستر الله له. (٢)

---

(١) رواه البخاري (٦٠٦٩)

(٢) راجع فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٨٧) وشرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٣/ ١٦)

ويخرج عن حد المجاهرة، إن وقعتِ المجاهرة من الإنسان على وجه السؤال والاستفتاء أو لمصلحة، فإنَّ ذلك يجوز بدليل خبر من واقع امرأته في رمضان فأخبر النبي ﷺ فلم ينكر عليه. (١)

-بعض صور ومظاهر المجاهرة

- أن يتحدث المرء أمام الناس ويتفاخر بما عمل من معاصٍ وآثام وقد بات يستره الله ثم يصبح مجاهراً مفتخراً بمعصيته لربه.

- التخلف عن الصلاة مع الجماعة -مع القدرة عليها - فتراهم يمارسون أعمالهم وربما يتسكعون في الشوارع ويجلسون على المقاهي وقت صلاة الجماعة ولا يبالون لذلك.

- ومنها ما يُشاهد من بعض الشباب المسلم من التشبه بالغرب وتقليدهم في الكلام اللباس وقصات الشعور والحركات وما شابه ذلك حتى صار بعضهم يفتخر بذلك.

- التلفظ بالألفاظ النابية كالسب والشتم والقذف جهارا نهارا.

- ومنها شرب الدخان والمخدرات ورفع صوت الغناء والموسيقى جهارا في شوارع المسلمين.

- ومن صور المجاهرة الدعوة إلى المعاصي والكبائر والإعلان عنها وإذاعتها عبر القنوات والمجلات.

- ومنها ما تقوم به بعض النساء - هداهن الله - حيث تخرج من بيتها متبرجة متزينة متعطرة مظهرة لمحاسنها أمام الرجال الأجانب عنها.

-عقوبات ومخاطر المجاهرة بالمنكرات

أولاً: استحقاق العذاب في الدنيا والآخرة لمن جاهر بالمعاصي وأصرّ عليها

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني (٨/ ١٦٠)

وفي ذلك يقول الله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ }. [النور: ١٩]

فالآية وإن كان لها سبب خاص، إلَّا أنَّ العبرة بعموم لفظها، فتعمُّ كلَّ من يُشيع الفواحش في المجتمع، مُنافقاً كان أو مؤمناً، وتعليق الوعيد على محبَّة الشياع دليل على أنَّ إرادة الفسقِ فسقٌ، فمن يجهر بإشاعة الفاحشة ونشرها والترويج لها يستحِقُّ العذاب في الدُّنيا، وهو الحدُّ أو التعزير، وعذاب النار في الآخرة، وهو خاصّ بالمنافقين، لأنَّ الحدَّ كفارة للمؤمنين. (١)

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: فإذا كان هذا الوعيد، لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة، واستحلاء ذلك بالقلب، فكيف بما هو أعظم من ذلك، من إظهاره، ونقله؟ وسواء كانت الفاحشة، صادرة أو غير صادرة. (٢)

عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الرِّبَا وَالزِّنَا، إِلاَّ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عِقَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ)). (٣)

فظهور الفاحشة والمجاهرة بها يورث استحقاق العذاب والعقوبة.

ثانياً: انتشار الأمراض والآفات التي لم تكن تظهر فيمن مضى

وهذا ما حذر منه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته، **فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ((**لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا**. . .)). (٤)

---

(١) تفسير الرازي (٢٣/ ٣٤٥) وتفسير القرطبي (١٢/ ٢٠٦) والبحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٨/ ٢٣)

(٢) تفسير السعدي (ص: ٥٦٤).

(٣) رواه أحمد (١/ ٤٠٢) وابن حبان (٤٤١٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٨٥).

(٤) رواه ابن ماجه (٤٠١٩) والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٨٢) وحسنه الألباني في الصحيحة (١/ ٢١٨)

وما نراه الآن في عصرنا من الأمراض التي لم يعرفها السابقون خير شاهد على صدق نبينا ﷺ.

ثالثاً: عموم العقوبة عند انتشار الفواحش وظهورها بين الناس

عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: ((لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ)). وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: ((**نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ**)). (١)

فالمحن والعقوبات الربَّانية التي تحلُّ بسبب ظهور الفواحش والمنكرات في المجتمعات لا تخصُّ أصحاب المعاصي فحسب، بل تصيب كلَّ أفراد المجتمع، لأنهم لم يدفعوها، ويمنعوا ظهورها قال تعالى: { وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [الأنفال: **٢٥**]

قال ابن كثير رحمه الله: يُحَذِّرُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ فِتْنَةً أَيِ: اخْتِبَارًا وَمِحْنَةً، يَعُمُّ بِهَا الْمُسِيءَ وَغَيْرَهُ، لَا يَخُصُّ بِهَا أَهْلَ الْمَعَاصِي وَلَا مَنْ بَاشَرَ الذَّنْبَ، بَلْ يَعُمُّهُمَا، حَيْثُ لَمْ تُدْفَعْ وَتُرْفَعْ. (٢)

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَّا يُقِرُّوا الْمُنْكَرَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ فَيَعُمُّهُمُ الْعَذَابُ. (٣)

وقال عُمَر بْن عَبْدِ الْعَزِيزِ رحمه الله: كَانَ يُقَالُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِذَنْبِ الْخَاصَّةِ، وَلَكِنْ إِذَا عُمِلَ الْمُنْكَرُ جِهَارًا اسْتَحَقُّوا كُلُّهُمُ الْعُقُوبَةَ. (٤)

---

(١) رواه البخاري (**٣٣٤٦**) ومسلم (**٢٨٨٠**)

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (**٤/ ٣٧**)

(٣) تفسير القرطبي (**٧/ ٣٩١**)

(٤) رواه مالك في الموطأ (**٣٦٣٦**) وابن المبارك في الزهد (**١/ ٤٧٦**)

لذلك حذر النبي ﷺ من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا يشيع الفساد فيعمهم الله بالعذاب

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ))**. (١)

سؤال: لماذا يعم العذاب مع أن الأصل ألا تزر وازرة وزر أخرى؟

الْجَوَابُ: أَنَّ النَّاسَ إِذَا تَظَاهَرُوا بِالْمُنْكَرِ فَمِنَ الْفَرْضِ عَلَى كُلِّ مَنْ رَآهُ أَنْ يُغَيِّرَهُ، (٢) فَإِذَا سَكَتَ عَلَيْهِ فَكُلُّهُمْ عَاصٍ. هَذَا بِفِعْلِهِ وَهَذَا بِرِضَاهُ. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ فِي حُكْمِهِ وَحِكْمَتِهِ الرَّاضِيَ بِمَنْزِلَةِ الْعَامِلِ، فَانْتَظَمَ فِي الْعُقُوبَةِ. قَالَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ. (٣)

رابعاً: المجاهرة بالمعاصي تؤْذِنٌ بقرب الساعة وأهوالها

وهذا مما حذر منه النبي ﷺ وأخبر أنه من علامات قرب الساعة، **عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو** رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **((إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالْمُتَفَحِّشَ، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَاحُشُ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَسُوءُ الْمُجَاوَرَةِ، وَحَتَّى يُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ وَيُخَوَّنَ الأَمِينُ))**. (٤)

---

(١) رواه الترمذي (٢١٦٩) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٨٩)

(٢) ومعلوم أن الإنكار درجات أولاها الإنكار باليد، وذلك لمن كان له ولاية على مرتكب المنكر كالسلطان أو من ينيبه عنه كوالي الحسبة وموظفيه كل بحسب اختصاصه وكذا المسلم مع أهله وولده، يلزمهم بأمر الله، ويمنعهم مما حرم الله، باليد إذا لم ينفع فيهم الكلام يقوم بهذا حسب الوسع والطاقة.

(٣) تفسير القرطبي (٧/ ٣٩٣)

(٤) رواه أحمد (٢/ ١٦٢) .

والمتفحِّش: هو الذي يتكلَّف سَبَّ النَّاس ويُفْحِشُ عليهم بلسانه، ويأْتي بالفاحشة المَنْهيّ عنها، أو هو الذي يتكلَّف الفُحش في كلامه وفعاله مُتعمِّداً. (١)

خامسا: المجاهرة سبب لوقوع الخسف والمسخ في هذه الأمة

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((يَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ))، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: ((نَعَمْ إِذَا ظَهَرَ الْخُبْثُ)). (٢)

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((فِي هَذِهِ الأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ))، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَتَى ذَاكَ؟ قَالَ: ((إِذَا ظَهَرَتِ القَيْنَاتُ وَالمَعَازِفُ وَشُرِبَتِ الخُمُورُ)). (٣)

-لماذا خصت المجاهرة بهذا الوعيد الشديد

- لأن في المجاهرة بالمعاصي نوعا من الاستخفاف بحق الله تعالى ورسوله وبشرعه وبالمؤمنين

كما قال تعالى { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ } [الزمر: ٦٧]، ولو أنهم عظَّموا الله – جل وعلا – وعرَفوا قدْره، لما استهانوا واستخفُّوا بتلك المعصية التي يبارزون الله تعالى بها.

قَالَ ابن بَطَّالٍ رحمه الله: **فِي الْجَهْرِ بِالْمَعْصِيَةِ اسْتِخْفَافٌ بِحَقِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَبِصَالِحِي الْمُؤْمِنِينَ وَفِيهِ ضَرْبٌ مِنَ الْعِنَادِ لَهُمْ.** (٤)

- وفي المجاهرة بالمعاصي دليل على قلة الحياء من الله

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٥/ ٧٨)

(٢) رواه الترمذي (٢١٨٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣٥٥)

(٣) رواه الترمذي (٢٢١٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٧٨٧)

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٨٧)

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ البدري رضي الله عنه، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ)). (١)

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَا كَانَ الفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ، وَمَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ)). (٢)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ)). (٣)

- سبب لانتشار المعاصي في المجتمعات

في المجاهرة بالمعاصي دعوة للناس إلى الوقوع فيها واستصغارها والاستهانة بها؛ فحين ترتكبُ المعاصي أمام أعين الناس ويُداوم أصحابُها على ارتكابها، يألفها الناس ويستصغرونها ويحتقرونها حتى تشيع وتنتشر، فيصعُبُ على المصلحين تغييرها وإزالتها.

عن بِلاَل بْن سَعْدٍ رحمه الله قال: إِنَّ الْمَعْصِيَةَ إِذَا أُخْفِيَتْ لَمْ تَضُرَّ إِلَّا صَاحِبَهَا، وَإِذَا أُعْلِنَتْ فَلَمْ تُغَيَّرْ ضَرَّتِ الْعَامَّةَ. (٤)

قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ رحمه الله: مَنْ عَصَى اللَّهَ فِي الْأَرْضِ فَقَدْ أَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ؛ لِأَنَّ صَلاَحَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ بِالطَّاعَةِ. (٥)

فالمعصية إن خفيتْ اقتصر أثرُها على فاعلها، أمَّا إن شاعت وانتشرت ولم يؤخذ على يد فاعلها فإنَّها تُجَرِّئُ ضعافَ النُّفوس والإيمان على الوقوع فيها ومحاكاتها.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٨٤)

(٢) رواه أحمد (٣/ ١٦٥) والترمذي (١٩٧٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٨٧)

(٣) رواه البخاري (٦١١٨) ومسلم (٣٦)

(٤) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١/ ٤٧٥)

(٥) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٢٠)

والذي يدعو الناس بحاله أو مقاله إلى الوقوع في المعصية، يتحمّلُ مثلَ أوزار من تأثر بدعوته واقتدى بأفعاله، إضافة إلى وزره وإثمه. **فعن أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا)). (١)

-سبل الوقاية من المجاهرة بالمعاصي والمنكرات

أضرارٌ كثيرة، ومخاطرُ جسيمة، نتيجةَ المجاهَرَةِ بالمعاصي والمنكرات. . فما السبيلُ إلى وقاية النفس من هذا الجُرم الكبير والإثمِ العظيم؟. .

أ- القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ففي الكتاب والسنَّة ما يدل على وجوب ذلك بشروطه، فقال تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[آل عمران: ١٠٤]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ رَأى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ)). (٢)

ب - الحرص على زيادة الإيمان والانشغال بالعمل الصالح

فمن قوي إيمانه وحسنت أعماله نجا من هذا الداء العضال الذي لا يليق بمؤمن عاقل يخاف الله ويرجو لقاءه، **فعن عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ**)). (١)

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٤)

(٢) رواه مسلم (٤٩)

ج - تحقيق الخوف من الله تعالى، والحياء منه سبحانه

فما من داء يصيب المرءَ في دينه إلا والخوفُ من الله علاجُه، والحياءُ من الله دواؤه. . فإذا سوّلتْ لك نفسُك أن تقعَ في معصيةٍ أو تدعوَ الناس إليها، فتذكرْ أن الله يسمعك ويراك، وتذكر أنك ستقف بين يديه وحيدا فريدا، لا أحدَ يغني عنك من الله شيئا. فأين خوفك من الله؟. وأين حياؤك من الله؟. والله تعالى يقول: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة: ٧]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ)). قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: ((لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الاِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ)). (٢)

د - استحضار موقف الحساب والوقوف بين يدي الله

عن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ:

---

(١) رواه الترمذي (١٩٧٧) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٦٣٥)

(٢) رواه الترمذي (٢٤٥٨) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٢٢٢)

{هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود: ١٨])). (١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((**لَا يَسْتُرُ اللهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا، إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)). (٢)

قال ابن حجر رحمه الله: سِتْرُ اللَّهِ مُسْتَلْزِمٌ لِسِتْرِ الْمُؤْمِنِ عَلَى نَفْسِهِ فَمَنْ قَصَدَ إِظْهَارَ الْمَعْصِيَةِ وَالْمُجَاهَرَةَ بِهَا أَغْضَبَ رَبَّهُ فَلَمْ يَسْتُرْهُ وَمَنْ قَصَدَ التَّسَتُّرَ بِهَا حَيَاءً مِنْ رَبِّهِ وَمِنَ النَّاسِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِسَتْرِهِ إِيَّاهُ. (٣)

هـ - الحرص على صحبة الصالحين والبعد عن مصاحبة الفاسدين المفسدين

فالمرءُ على دين خليله، والصاحبُ ساحب. . . فإياك أن تصاحب من يقودك إلى معصية، ويدعوك إلى منكر، فإنه لن يغني عنك من الله شيئا، وستندم على مصاحبته عند لقاء ربك.

قال تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولًا} [الفرقان: ٢٧ - ٢٩]

و - التخلق بخلق الستر

ينبغي للمسلِم إذا ابتُلي بالمعصية أن يستتر بستر الله، وأن يبادر بالتوبة النصوح، وأن يستر على أخيه، حتى لا تشيعَ الفاحشة، وينتشرَ المنكر، ويتجرّأ الناس على محارم الله عز وجل، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((اجْتَنِبُوا هَذِهِ الْقَاذُوَةَ الَّتِي نَهَى

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤١) ومسلم (٢٧٦٨)

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٠)

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٨٨)

الله عَنْهَا، فَمَنْ أَلَمَّ بشيء منها فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللهِ تَعَالَى، وَلْيَتُبْ إِلَى اللهِ فَإِنَّهُ مَنْ يُبْدِ لَنَا صَفْحَتَهُ نُقِمْ عَلَيْهِ كِتَابَ اللهِ)). (١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((لَا يَسْتُرُ اللهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا، إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)). (٢)

ي – هجرة الأرض التي يجاهر أهلها بالفواحش والمنكرات ولا يتمكَّن أهلُ الإيمان من تغييرها، قال تعالى { وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} [الأنفال: **٢٥**]

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: **الْفِتْنَةُ إِذَا عُملت هَلَكَ الْكُلُّ. وَذَلِكَ عِنْدَ ظُهُورِ الْمَعَاصِي وَانْتِشَارِ الْمُنْكَرِ وَعَدَمِ التَّغْيِيرِ،** وَإِذَا لَمْ تُغَيَّرْ وَجَبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْمُنْكِرِينَ لَهَا بِقُلُوبِهِمْ هِجْرَانُ تِلْكَ الْبَلْدَةِ وَالْهَرَبُ مِنْهَا، **رَوَى ابْنُ وَهْبٍ عَنْ مَالِكٍ** أَنَّهُ قَالَ: تُهْجَرُ الْأَرْضُ الَّتِي يُصْنَعُ فِيهَا الْمُنْكَرُ جِهَارًا وَلَا يُسْتَقَرُّ فِيهَا. (٣)

وعن صفية بنت أبي عبيد (زوجة ابن عمر) قالت: زُلْزِلَتِ الْمَدِينَةُ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَتَّى فَقَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: (يا أهل المدينة) مَا أَسْرَعَ مَا أَحْدَثْتُمْ وَاللَّهِ لَئِنْ عَادَتْ لَأَخْرُجَنَّ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ. (٤)

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ: خشى أن تصيبه العقوبة معهم. (٥)

والحمد لله رب العالمين

---

(١) رواه الحاكم (٤/ ٤٢٥) والبيهقي (٨/ ٣٣٠) وصححه الألباني في الصحيحة (٢/ ٢٦٨)

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٠)

(٣) تفسير القرطبي (٧/ ٣٩٢)

(٤) الفتن لنعيم بن حماد (٢/ ٦٢٠)

(٥) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣/ ٢٦)

خذ من أموالهم صدقة

المفهوم الواسع للصدقة **الأدلة على مشروعية الصدقة وفضلها**
شروط وآداب الصدقة **مبطلات الصدقة** **مسائل وأحكام**

من حكمة ربنا تعالى أن فاوتَ بين العباد في أرزاقهم كما فاوتَ بينَهم في أخلاقهم، وله الحكمة في تفاوت الخلق في أرزاقهم، فإنه فاوتَ بينَهم فجَعل أغنياءَ وفقراء، بل جعل الأغنياءَ متفاوتين في قدر الغنى، كما أن الفقراءَ متفاوتون في قدر الفقر، قال تعالى مبيِّنًا ذلك وأنه يبسط الرزق لمن يشاء: {قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ وَلَاكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ }[سبأ: ٣٦]، لا يعلمون هذه الحقيقة، لا يدركون كُنهَها، والله جل وعلا هو العليم الحكيم الذي يقسم رزقَه بين عباده على كمال الحكمة والعلم والرحمة والعدل.

وفِي هذهِ الحياة الدّنيا متاعبُ وأعباء وفقرٌ أحداثٌ جسام، والإنسان لا غنى له عن أخيه؛ يشدّ عضدَه، ويقوِّي عزمتَه، ويخفِّف شِدّته، ويفرِّج كربَه، طمعًا في الأجر وطلبًا للفضَل، وبهذا يقوم المجتمعُ على أسُسٍ قويّة وقواعدَ متينة في نظامٍ من التّكافل والتّعاون.

إنّها رقّة القلب والرّحمة الفيّاضة التي تدفع المسلمَ لإسداء المعروفِ وإغاثةِ الملهوف ومعاونة المحتاج والبرِّ بالفقراء والمساكين والعطفِ على الأراملِ ومسحِ دموعِ اليتامى والإحسانِ إليهم وإدخالِ السرور على نفوسهم، قال تعالى: {**إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُواْ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ**} [الحديد: ١٨]. أيّ حافزٍ للصدقة أوقع وأعمقُ من شعورِ المعطي بأنّه يقرِض الغنيَّ الحميدَ، وأنّه يتعامل مع مالك الملك، وأنّ ما ينفِقه مخلَفٌ عليه مضاعفًا، وله بعدَ ذلك كلِّه أجرٌ كريم؟! قال تعالى: {**وَمَا أَنفَقْتُمْ مِّن شَىْء فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**} [سبأ: ٣٩]. أي: يخلَف

عليكم في الدّنيا بالبَدَل وفي الآخرةِ بالجزاء الثواب، وقال رسول الله: **((ما مِن يومٍ يصبح العبادُ فيه إلا ملكان ينزِلان، فيقول أحدهما: اللهمّ أعطِ منفِقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهمّ أعطِ مُمسكًا تلفًا))** (١)

المفهوم الواسع للصدقة

يتسع مفهوم الصدقة ليشمل كل أنواع معروف

*عن أبي موسى الأشعري قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ)) قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: ((فَيَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ)) قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: ((فَيُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ)) قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: ((فَيَأْمُرُ بِالخَيْرِ)) أَوْ قَالَ: ((بِالْمَعْرُوفِ)) قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: ((فَيُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ))(٢)

*عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ))(٣)

الأدلة على مشروعية الصدقة وفضلها

أولا من القرآن:

قال تعالى: **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ))** [البقرة / ٢٥٤]

وقال تعالى: **((مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي**

---

(١) رواه البخاري (١٣٧٤) ومسلم (١٠١٠)

(٢) البخاري(٦٠٢٢) ومسلم (١٠٠٨)

(٣) البخاري(٦٠٢١)

سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)) [البقرة / ٢٦١، ٢٦٢]

وقال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ)) [البقرة / ٢٦٧]

قال الله تعالى: ((مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)) [البقرة: ٢٤٥].

وفي السنة كثير منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - وإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فَلوَّه حتى تكون مثل الجبل** ".[1]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: قال الله **أنفق يا ابن آدم أنفق عليك**.[2]

شروط وآداب الصدقة

١ - الإخلاص: وهو شرط في قبول جميع العبادات ومنها الصدقات قال الله تبارك وتعالى: ((وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ)) [البينة آية: ٥]

٢ - ألا تقترن الصدقة بالمن والأذى قال تعالى: ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ**

(١) رواه البخاري (١٣٤٤) ومسلم (١٠١٤)

(٢) رواه البخاري (٥٠٧٣) ومسلم (٩٩٣)

كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ)) [البقرة الآية: ٢٦٤].

٣- أن تكون من كسب طيب قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ)) (البقرة آية: ٢٦٧) وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا الآية. وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟ (١)

٤- أن تكون الصدقة عن ظهر غنى

عن حكيم ابن حزام رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال (**اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ**)(٢)

وقد تكون من اليد السفلى خير لقول النبي

٥- المبادرة بالصدقة

(١) رواه مسلم (١٠١٥)

(٢) رواه البخاري (١٣٦١) ومسلم (١٠٣٤)

عن حارثة بن وهب قال: سمعت النبي ﷺ يقول (تصدقوا فإنه يأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها يقول الرجل لو جئت بها بالأمس لقبلتها فأما اليوم فلا حاجة لي بها)[1]

مبطلات الصدقة

١) المن والأذى

لقد أثنى الله على من ينفق ماله في سبيل الله وذم سبحانه من يفسد هذه النفقة بالمن والأذى فقال: ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ* قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ**﴾ سورة البقرة(٢٦٢)(٢٦٣).

وعن أبي ذر، عن النبي ﷺ قال: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: المنان الذي لا يعطي شيئا إلا منه، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر، والمسبل إزاره. [2]

وعبد الله ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "لا تقبل صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول" [3]

٢) أن تكون من مال خبيث أو من غلول

قال الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[البقرة ٢٧٦]

---

(١) رواه البخاري (١٣٤٥) ومسلم (١٠١١)

(٢) رواه مسلم (١٠٦)

(٣) رواه مسلم (٢٢٤)

٣) الرياء

الرياء يبطل الصدقة إذا قارنها و طغى عليها؛ فقد ذم الله تعالى من فعل ذلك، فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا * وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا} (٣). وقال تعالى: {كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٤).

مسائل وأحكام

أيهما أفضل إخفاء الصدقة أم إظهارها؟

أولا: الصدقة الواجبة.

نقل عدد من العلماء الإجماع على أن إظهارها أفضل

قال ابن بطال: " ولا خلاف بين أئمة العلم أن إعلان صدقة الفريضة أفضل من إسرارها، وأن إسرار صدقة النافلة أفضل من إعلانها "(١)

وقال ابن العربي: " أما صدقة الفرض فلا خلاف أن إظهارها أفضل، كصلاة الفرض وسائر فرائض الشريعة؛ لأن المرء يحرز بها إسلامه، ويعصم ماله.

وليس في تفضيل صدقة العلانية على السر ولا في تفضيل صدقة السر على العلانية حديث صحيح يعول عليه، ولكنه الإجماع الثابت. "(٢)

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣/ ٤٢٠)

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣١٥)

ثانيا: صدقة التطوع

قال النووي: "الأفضل في الزكاة إظهار إخراجها ليراه غيره فيعمل عمله ولئلا يساء الظن به وهذا كما أن الصلاة المفروضة يستحب إظهارها وإنما يستحب الإخفاء في نوافل الصلاة والصوم "(١)

وقد فصَّل ابن العربي فقال: " فأما صدقة النفل فالقرآن صرح بأنها في السر أفضل منها في الجهر؛ بيْد أن علماءنا قالوا: إن هذا على الغالب مخرجه.

والتحقيق فيه أن الحال في الصدقة تختلف بحال المعطي لها، والمعطى إياها، والناس الشاهدين لها.

- أما المعطِي فله فائدة إظهار السنة وثواب القدرة، وآفتها الرياء والمن والأذى.

- وأما المعطَى إياها فإن السر أسلم له من احتقار الناس له أو نسبته إلى أنه أخذها مع الغنى عنها وترك التعفف.

- وأما حال الناس فالسر عنهم أفضل من العلانية لهم، من جهة أنهم ربما طعنوا على المعطي لها بالرياء، وعلى الآخذ لها بالاستثناء؛ ولهم فيها تحريك القلوب إلى الصدقة، لكن هذا اليوم قليل. "(٢)

ندب النبي ﷺ النساء خاصة للصدقة

لقد خص النبي ﷺ النساء بدعوتهن إلى الصدقة وبين لهن العلة في ذلك،

فعن أبي سعيد الخدري قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى فمر

---

(١) المجموع شرح المهذب (٦/ ٢٣٣)

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣١٥)

على النساء فقال: "يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار" فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: "تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن" قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: "أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل" قلن: بلى، قال: "فذلك من نقصان عقلها أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم" قلن: بلى، قال: "فذلك من نقصان دينها" (١)

أحكام المسألة والتسول

حذر الشارع الحكيم من السؤال من غير حاجة ومن الإلحاف في المسألة

قال تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: **٢٧٣**].

قال ابن كثير رحمه الله: "أراد: لا يُلِحُّونَ في المسألة، ولا يُكَلِّفُونَ الناسَ ما لا يحتاجون إليه؛ فإن مَنْ سأل وله ما يغنيه عن المسألة، فقد أَلْحَفَ في المسألة"(٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: "مَنْ سأل الناس أموالهم تكثُّرًا، فإنما يسأل جمرَ جهنَّم، فَلْيَسْتَقِلَّ أو لِيَسْتَكْثِرَ"(٣)

وقال الغزالي رحمه الله: "السؤال حرام في الأصل وإنما يباح بِضَرُورَةٍ أَوْ حَاجَةٍ مُهِمَّةٍ قَرِيبَةٍ مِنَ الضَّرُورَةِ فإن كان عنها فهو حرام وإنما قلنا إن الأصل فيه التحريم لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة:

---

(١) رواه البخاري (٣٠٤) مسلم (٧٩)

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٢٤)

(٣) رواه مسلم (١٠٤١)

الأول: إظهار الشكوى من الله تعالى إذ السؤال إظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه وهو عين الشكوى. . .

الثاني: أن فيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله بل عليه أن يذل نفسه لمولاه فإن فيه عزه فأما سائر الخلق فإنهم عباد أمثاله فلا ينبغي أن يذل لهم إلا لضرورة وفي السؤال ذل للسائل بالإضافة إلى المسئول

الثالث: أنه لا ينفك عن إيذاء المسئول غالباً لأنه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب منه فإن بذل حياء من السائل أو رياء فهو حرام على الآخذ وإن منع ربما استحيا وتأذى في نفسه بالمنع إذ يرى نفسه في صورة البخلاء ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان والسائل هو السبب في الإيذاء والإيذاء حرام إلا بضرورة. (١)

فضل الاستعفاف والنهي عن المسألة

قال تعالى: ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: **٢٧٣**].

قال ابن كثير: "أراد: لا يُلِحُّونَ في المسألة، ولا يُكَلِّفُونَ الناسَ ما لا يحتاجون إليه؛ فإن مَنْ سأل وله ما يغنيه عن المسألة، فقد أَلْحَفَ في المسألة"(٢)

عن الزُّبير بن العوَّام ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: "لأَنْ يأخُذَ أحدُكم حَبْلَهُ، فيأتي بحِزْمَةِ الحَطَب على ظهره، فيبيعها، فيَكُفَّ الله بها وجهَه -خيرٌ له من أن يسأل الناس، أعطَوْهُ أو منعوه"(٣)

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٢١٠)

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٢٤)

(٣) رواه البخاري (١٤٧١)

عن حَكيم بن حِزَام ﷺ قال: سألتُ النبيَّ ﷺ فأعطاني، ثم سألتُه فأعطاني، ثم سألتُه فأعطاني، ثم قال: "يا حكيم، إن هذا المال خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فمَنْ أَخَذَهُ بسَخاوَة نَفْسٍ، بُورِكَ له فيه، ومَنْ أَخَذَهُ بإشراف نَفْسٍ، لم يُبارَك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خيرٌ من اليد السُّفلى"، قال حكيم: فقلتُ: يا رسول الله، والذي بَعَثَكَ بالحقِّ، لا أَرْزَأُ أحدًا بعدك شيئًا حتى أُفارِقَ الدُّنيا، فكان أبو بكر ﷺ يدعو حكيمًا إلى العطاء، فيأبى أن يَقْبَلَ منه، ثم إن عمر ﷺ دعاه ليعطيه، فأبى أن يَقْبَلَ منه شيئًا، فقال عمر: إني أُشْهِدُكم يا معشرَ المسلمين: أنِّي أعرض عليه حقَّه من هذا الفَيْء، فيأبى أن يأخذه؛ فلم يَرْزَأْ حكيمٌ أحدًا من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفيَ ﷺ. (١)

وقال النووي: (باب النهي عن المسألة)مقصود الباب وأحاديثه النهي عن السؤال واتفق العلماء عليه إذا لم تكن ضرورة. (٢)

الوعيد لمن سأل الناس من غير حاجة

عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال النبي ﷺ (ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم)(٣)

وعن أبي هريرة ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: "**مَنْ سأل الناس أموالهم تكثُّرًا، فإنما يسأل جمرَ جهنَّم، فَلْيَسْتَقِلَّ أو لِيَسْتَكْثِرَ**"(٤)

---

(١) رواه البخاري (١٤٧٢)، و مسلم (١٠٣٥)

(٢) شرح النووي على مسلم (٧/ ١٢٧)

(٣) رواه البخاري (١٤٠٥)، ومسلم (١٠٤٠)

(٤) رواه مسلم (١٠٤١)

وعن أبي كبشة الأنماري، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: " **ثَلاَثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا** "[1]

والحمد لله رب العالمين

(١) رواه الترمذي ت (٢٣٢٥)

الاستعجال بين الممنوع والمشروع

نظرة الإسلام إلى الاستعجال صور للاستعجال المذموم والاستعجال المحمود

سبل الوقاية من العجلة المذمومة وعلاجها

مقدمة: كما أنَّ التأنِّي مندوبٌ إليهِ في ظروفٍ تليقُ بهِ فإنَّ ظُروفاً أُخرى تليقُ بالعجلة، وربما فاتَ قوماً جُلُّ مطلبِهم مِنَ التأنِّي وكانَ الأمرُ في مُحصِّلتِهم لو عجلُوا، والحياةُ فرصٌ قد لا تعود، والعاقل مَنْ يغتنمها في تحقيق طموحاته وأهدافه؛ وكذلك كم مِنْ إنسان أوردته العجلة موارد الهلاك والضياع كما كانت العرب تقول: العجلةُ أمُّ الندامات؛ إذا فالأمر يحتاج إلى وقفة تأمل ونظر ليتضح المسلك القويم والصراط المستقيم في هذه المسألة.

- **نظرة الإسلام إلى الاستعجال**

لما كانت العجلة من طبيعة الإنسان بشهادة خالقة ومدبر أمره سبحانه وتعالى: { وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا } [الإسراء: ١١] فإن الإسلام ينظر إلى الاستعجال نظرة عدالة وإنصاف، فلا يحمده بالمرة ولا يذمه بالمرة، وإنما يحمد بعضه، ويذم البعض الآخر.

فيُحمد الاستعجال: في كل ما كان ناشئاً عن تقدير دقيق للآثار والعواقب، وعن إدراك تام للظروف والملابسات، وعن حسن إعداد، وجودة ترتيب، أو كان بحسب مطلوب الشارع ومرغوبه.

ولعل هذا النوع من الاستعجال هو المعنيُّ في قوله تعالى عن موسى عليه السلام: { وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى } [طه: ٨٣، ٨٤].

فالظروف مناسبة، والفرصة مواتية، والعاقبة محمودة، والنفس صافية مشرقة، فما الذي يحمل موسى على التواني والتأخير؟!

أما المذموم منه: فهو ما كان مجرد ثورة نفسية خالية من تقدير العاقبة، ومن الإحاطة بالظروف والملابسات، ومن أخذ الأهبة والاستعداد.

لذلك أمر النبي ﷺ بالتأني وحذر من العجلة كما في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((التَّأَنِّي مِنَ اللهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ)). (١)

وقال ابن حبان رحمه الله: إنّ العَجِل يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم ويحمد قبل أن يجرّب، ويذمّ بعدما يحمد، ويعزم قبل أن يفكّر، ويمضي قبل أن يعزم، والعجل تصحبه النّدامة، وتعتزله السلامة، وكانت العرب تكنيها أمّ النّدامات. (٢)

ثانيًا: بيان صور للاستعجال المذموم والاستعجال المحمود

النوع الأول: الاستعجال المذموم وله صور كثيرة منها:

١ - الاستعجال في الدعاء وله صور منها:

- **الاستعجال في الدعاء بالشر**: ويحدث كثيرًا أن الإنسان قد يدعو على نفسه بالهلاك، أو على ولده أو على ماله، ومن رحمة الله بنا أنه لا يعجل لنا ذلك: {وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [يونس: ١١]

---

(١) رواه أبو يعلى (٤٢٥٦) والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٧٨) وحسنه الألباني في الصحيحة (٤/ ٤٠٤)

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٢١٦)

ولقد نهى النبي ﷺ عن ذلك وحذَّر منه، **عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ** رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ)). (١)

ولعل كثيرًا مما نرى من المصائب والأمراض وفساد الأولاد يكون بسبب الدعاء عليهم، وكثير من الناس لا يشعر بذلك، فهل من مدكر؟!

- استعجال استجابة الدعاء

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ رَبِّي فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي)). (٢)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ)) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الِاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ: ((قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ)). (٣)

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: مَنْ يُكْثِرْ قَرْعَ الْبَابِ يُوشِكْ أَنْ يُفْتَحَ لَهُ، وَمَنْ يُكْثِرِ الدُّعَاءَ يُوشِكْ أَنْ يُسْتَجَابَ لَهُ. (٤)

٤ - الاستعجال في الصلاة: وله صور منها:

- استعجال بعض المصلين في صلاتهم، فلا يُتِمّونَ رُكُوعَهَا ولا سُجُودَهَا ولا يَطْمَئِنّونَ فيها

---

(١) رواه مسلم (٣٠٠٩)

(٢) رواه البخاري (٦٣٤٠) ومسلم (٢٧٣٥)

(٣) رواه مسلم (٢٧٣٥)

(٤) شرح السنة للبغوي (٥/ ١٩١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ المَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَصَلَّى، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَرَدَّ وَقَالَ: ((ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ))، فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: ((ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ)) ثَلاَثًا، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي، فَقَالَ: ((إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاَةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا)). (١)

- الاستعجال في سبق الإمام

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَمَا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ، أَنْ يُحَوِّلَ اللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ؟)). (٢)

٣ - استعجال بعض الدعاة والمصلحين في إصلاح الناس وتغيير واقعهم بين عشية وضحاها

بعض الشباب المتحمس يبدأ في الدعوة باندفاع، فإذا حصل له نوع من أنواع الابتلاء من عدم استجابة الناس، أو عدم زوال المنكرات، بدأ يتململ ويتذمر وربما يتوقف عن مواصلة الطريق، أو يتصرف تصرفات طائشة من واقع الضغط النفسي، تضر به وبمن حوله وربما تضر بالدعوة كلها وتؤخرها عشرات السنين، فينبغي أن يعلم أرباب الاستعجال أن لله في خلقه سنناً لا تتبدل وأن لكل شيء أجلاً مسمى، وأن الله لا يعجل كعجلة أحد من الناس، وأن لكل ثمرة أواناً تنضج فيه فيحسن عندئذ

(١) رواه البخاري (٧٥٧) ومسلم (٣٩٧)

(٢) رواه البخاري (٦٩١) ومسلم (٤٢٧)

قطافها، **عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ** رضي الله عنه، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ فَقُلْنَا: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلاَ تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: ((قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ)). (١)

وعلى الداعية والمصلح أن يعلم أنه ليس مطالباً بالنتائج أو تحقيق النصر للإسلام فهذا أمره لله، لكنه مطالب ببذل الجهد فحسب: { فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاَغُ} [الشورى: ٤٨]

٤ - نشر الخبر قبل التثبّت من صحته

فالمسلم مأمور بالتثبت من الخبر قبل نقله، يقول الله سبحانه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ } [الحجرات: ٦].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**)). (٢)

فينبغي للمسلم ألا ينشر الخبر إلا بعد التثبت من صحته ثم ينظر إلى ما يترتب على نشره، فقد يكون من نشر الفاحشة في المؤمنين قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [النور: ١٩]

أو يترتب عليه فتنة وضرر واقتتال بين الناس، فيحذر المسلم أن يكون مفتاحا للشر.

---

(١) رواه البخاري (٦٩٤٣)

(٢) رواه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ١٠)

٥- الاستعجال في طلب العلم:

وهو أن يترك الطالب تعلّم بديهيات العلم وبداياته ويخوض في غمار المسائل الكبار التي ربما توقف فيها الكبار من أهل العلم، والأصل أخذ الأمور من أولها ودخول البيوت من أبوابها كما قال تعالى: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ} [آل عمران: ٧٩]

والرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره. (١)

قال الشعبي :العلم ثلاثة أشبار فمن نال منه شبرا شمخ بأنفه وظن أنه ناله. ومن نال الشبر الثاني صغرت إليه نفسه وعلم أنه لم ينله، وأما الشبر الثالث فهيهات لا يناله أحد أبدا. (٢)

٦- استعجال الرزق

وصورته أن يستبطئ الإنسان الرزق فيستعجل، فيطلبه من طرق محرمة ووجوه غير مشروعة، **عَنْ أَبِي أُمَامَةَ** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ رَوْحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِيَ أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ)). (٣)

النوع الثاني: الاستعجال المحمود

الإسلام يدعو إلى المبادرة والمسابقة والمسارعة في أعمال الآخرة، والنصوص في هذا المعنى كثيرة وواضحة، منها حديث سعد بن وقاص رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: ((التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ)). (٤) لأن العمل للآخرة بضوابطه خير محض

---

(١) تفسير البغوي (٢/ ٦٠)

(٢) أدب الدنيا والدين (ص: ٧٣)

(٣) رواه الطبراني (٧٦٩٤) وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٤٢٠)

(٤) رواه أبو داود (٤٨١٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٧٨)

لا شر فيه، **وقد جاءت الآيات تجلي هذا المعنى** وتوضحه، فأمر الله بالمسارعة إلى الخيرات والطاعات، فقال تعالى: { فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} [البقرة: **١٤٨**]

وقال تعالى: { وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ } [آل عمران: **١٣٣**].

ومدح أهل السبق والمسارعة إلى الخيرات، فقال سبحانه: { أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [المؤمنون: **٦١**]

ومدح صفوة خلقه وأنبائه عليهم السلام فقال في وصفهم: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ} [الأنبياء: **٩٠**] وقال أيضا: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ }[الواقعة: **١٠، ١١**]

والإنسان لا يضمن ألا تأتيه المعوقات التي يصعب على الإنسان معها أن يؤدي ما عليه من طاعات، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا)). (١)

وهذه عدة أمور يستحب بل ربما يجب في بعضها العجلة:

١ - الاستعجال والمسارعة إلى امتثال أوامر الله ورسوله ﷺ

فامتثال أوامر الله ورسوله لا يحتاج إلى تريث أو تمهل لأنها خير كلها، لذلك قال تعالى: { فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الذاريات: **٥٠**]

قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} [الأحزاب: **٣٦**]

---

(١) رواه مسلم (١١٨)

والصحابة ضربوا أروع الأمثلة في سرعة الامتثال لله ولرسله بدون أي تردد، وإليك مثال من كثير من الأمثلة التي نُقلت عنهم، **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ** رضي الله عنهما، قَالَ: بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ، إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الكَعْبَةَ، فَاسْتَقْبِلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّأْمِ، فَاسْتَدَارُوا إِلَى الكَعْبَةِ. (١)

٢- الاستعجال والمسارعة في التوبة إلى الله

يقول تعالى: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [النساء: ١٧، ١٨]

فالتوبة من الأمور العاجلة التي لا تحتاج إلى تسويف؛ فلربما أتى الموت بغتةً فيحتاج الإنسان أن يتوب، ولكن قد أُغلق باب التوبة دونه! ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ، مَا لَمْ يُغَرْغِرْ)). (٢)

وعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا)). (٣)

٣- الاستعجال في أداء الحقوق وردِ المظالم إلى أهلها

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ

---

(١) رواه البخاري (٤٠٣) ومسلم (٥٢٦)

(٢) رواه الترمذي (٣٥٣٧) وابن ماجه (٤٢٥٣) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٨٦)

(٣) رواه مسلم (٢٧٥٩)

أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ)). (١)

٤- الاستعجالُ في أداء الدَّيْنِ لخطورته

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((نَفْسُ المُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ)). (٢)

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ يُكَفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ، إِلَّا الدَّيْنَ)). (٣)

٥- العجلة في أداء فريضة الحج

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ - يَعْنِي: الْفَرِيضَةَ - فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لاَ يَدْرِي مَا يَعْرِضُ لَهُ)). (٤) **وفي رواية**: ((مَنْ أَرَادَ أَنْ يَحُجَّ، فَلْيَتَعَجَّلْ فَإِنَّهُ قَدْ تَضِلُّ الضَّالَّةُ، وَيَمْرَضُ الْمَرِيضُ، وَتَكُونُ الْحَاجَةُ)). (٥)

٦- تعجيل الفطر:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: ((لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ)). (٦)

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٩)

(٢) رواه الترمذي (١٠٧٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٤٧)

(٣) رواه مسلم (١٨٨٦)

(٤) رواه أحمد (١/ ٣١٣) وحسنه الألباني في إرواء الغليل (٤/ ١٦٨)

(٥) رواه أحمد (١/ ٢١٤) وحسنها الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٣٩)

(٦) رواه البخاري (١٩٥٧) ومسلم (١٠٩٨)

ثالثًا: سبل الوقاية من العجلة المذمومة وعلاجها

- **إمعان النظر في الآثار والعواقب المترتبة على الاستعجال**؛ فإن ذلك مما يهدئ النفس، ويحمل على التريث والتأني.

ومن واقعنا المعاصر نرى كثيرًا من الناس يندمون حين لا ينفعهم الندم، بسبب استعجالهم في أمور كان عليهم أن يتأنَّوْا فيها، فمن ذلك أنه لأقل الأسباب يطلق الرجل زوجته، فتتشتت الأسر، ويضيع الأطفال، وتهدم البيوت، ويقع من الهم والغم ما الله به عليم، كل ذلك بسبب العجلة، فهل من مدكر؟!

وكذلك ما نسمعه من الحوادث المروعة التي كانت سببًا لإزهاق نفوس كثيرة، وأمراض خطيرة، وعاهات مزمنة، إنما وقع بسبب العجلة.

- **دوام المطالعة في السنة** والسيرة النبوية؛ فرسول الله ﷺ أحلم الناس وأحكم الناس، لذلك ينبغي للمسلم التأسي به: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: ٢١]

- **مجاهدة النفس**، وتدريبها على ضرورة التريث والتأني والتروي؛ فإنما الحلم بالتحلم، ومن يتصبَّرْ يُصبِّرْه الله.

- **مصاحبة الحكماء** وأهل الحلم والعقل فالمرء على دين خليله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: ((الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ)). (١)

والحمد لله رب العالمين

(١) رواه أبو داود(٤٨٣٣) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٦٤)

خصائص المجتمع الإسلامي

حال المجتمعات قبل الإسلام خصائص المجتمع الإسلامي وعوامل إصلاحه.

نماذج من المجتمع الإسلامي

حال المجتمعات قبل الإسلام:

كانت المجتمعات الإنسانية قبل الإسلام في تنازع، والدول في تناحر، وكل دولة تعتبر غيرها من جملة رعاياها مباحي الدم والنفس ليست لهم أي حقوق قبلها، وقد فرَّق المجتمعات نظام الطبقات تفريقا أذهب وحدتها وأضعف قوتها. وقد صَوَّر النبيُّ ﷺ حالهم، فعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: أَلاَ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلاَلٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ[1]. فمثلاً:

فأما المجتمع الروماني: كان الرومان قد سادها نظام لا يجعل للضعيف حقاً بجوار القوى، من ذلك أن بعض الرعايا ممن ليسوا من رومانا ليس لهم حقوق الرومان.

وأما المجتمع الفارسي: ابتلى الفرس بمزدك وأتباعه وقوي أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى صار لا يعرف الرجل منهم ولده، ولا المولود أباه، ولا يملك الرجل شيئاً مما يتمتع به.

---

(١)أخرجه مسلم(٧٣٠٩).

وأما المجتمع العربي: كانت جزيرة العرب تحتوى على عدة قبائل، ولم يكن ثمة نظام جامع، ولا قانون يحكم بين هذه القبائل، شعارهم انصر أخاك ظالمًا أو مظلوما دون ضابط، حالهم كما يقول دُرَيدُ بن الصُّمَّة:

وهل أنا إلا من غزيّة إن غوتْ. . . غويتْ وإن تَرْشُدْ غزيَّة أَرشُدِ[1].

وكانت الحروب تقع بين القبائل على أتفه الأسباب، كحروب داعس والغبراء وعبس وذبيان وحرب البسوس وغيرها[2]. تلك هي حال مجتمعات العالم قبل الإسلام[3].

خصائص المجتمع الإسلامي وأسس بناءه:

لقد تميز المجتمع الإسلامي عن غيره من المجتمعات بعدد من السمات جعلته بحق مجتمعاً فريداً لم تعرف البشرية مجتمعاً مثله جمع في ثناياه هذه السمات الحميدة، ليكون أنموذجاً يرتجى، ومثالاً يحتذى عند العقلاء من بني البشر، **ومن هذه السمات أنه:**

١ - مجتمعٌ مُوَحِّـد: وهذه أعظم خاصية أختص بها المجتمع الإسلامي أن مبناه على توحيد الله عز وجل ملتزماً بشرعه في كل تصرفاته، معتقد أن الله تعالى هو الخالق الرازق المدَبِّر للأمور، المستحق للعبادة والخضوع والخشوع، قال تعالى: ((**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**)) [الأنعام: ١٠٢]

٢ - مجتمعٌ مُوَحَّـد: وتعني هذه أنه مجتمع مترابط برابطة واحدة هي رابطة الإسلام

---

(١)الشعر والشعراء (٢/ ٧٣٨)، لابن قتيبة.

(٢)انظر كتاب دراسات إسلامية في الأسرة والمجتمع، للشيخ محمد أبو زهرة.

(٣)لكن كان هناك قلة قلية متمسكة بالحق في المجتمع العربي كزيد بن عمرو وورقة بن نوفل، وكانوا يرفضون العصبية وأخلاق الجاهلية.

وقد حذر اللهُ عز وجل العباد من التفرق والتمزق، فقال سبحانه: ((وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ)) [الروم: ٣١، ٣٢]. وأمر الله عباده بالاعتصام والتوافق والاتحاد، فقال تعالى: ((**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**)) [آل عمران: ١٠٣]

٣-مجتمعٌ متراحم: لم يعرف التاريخ مجتمعاً متراحماً كالمجتمع الإسلامي ولم لا؟! فالذي وضع قواعده هو رب الأرض والسماء، فقد شرَّع الله عز وجل لعباده ما يتناسب مع أحوالهم فأمرهم بالتراحم والتعاطف فيما بينهم لكي تستقيم حياتهم، وحذرهم من الظلم وحرمه عليهم كما في الحديث القدسي، عَنْ أَبِي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: ((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلاَ تَظَالَمُوا))(١).

وقد حث النبيُّ ﷺ على التعاون والتراحم في أحاديث كثيرة منها:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بن العاص رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا))(٢).

وعن جَرِيرِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ))(٣).

وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ))(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٤٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠١٣)، ومسلم (٦٥).

قال ابن بطال: في هذه الأحاديث الحض على استعمال الرحمة للخلق كلهم كافرهم ومؤمنهم ولجميع البهائم والرفق بها، وأن ذلك مما يغفر الله به الذنوب ويكفر به الخطايا(٢).

٤-مجتمعٌ عفيف طاهر: لم يتمرغ في أوحال الدنس والقذارة الأخلاقية، بعيد كل البعد عن الأسباب التي تدنسه كالنظر للنساء الأجنبيات، وسماع الغناء الماجن المحرم، والاختلاط بين الرجال والنساء كل ذلك حفاظًا عن الأعراض والأنساب، قال تعالى {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً} [الإسراء: **٣٢**]، وقال سبحانه {وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ } [الأنعام: **١٥١**]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعُود رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أنه قَالَ: ((مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ))(٣).

٥-مجتمع آمن: والأمن من ضروريات الحياة فليس الأمن بالأمر اليسير أو السهل فهو من ضروريات الحياة فالإنسان لا يمكن أن يعيش بهناء وسعادة وينام قرير العين بدون الأمن، كثير من العبادات وكثير من الأعمال الصالحة لا يمكن أن تكون بدون الأمن، فالأمن ضرورة حياتيه مثل الطعام والشراب.

قال رسول الله ﷺ ((الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ))(٤)

وقال: (خَيْرُكُمْ مَنْ يُرجى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يرجى خيره ولا يؤمن شره) (١)

---

(١)أخرجه البخاري(٢٤٤٢).

(٢)شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٢١٩).

(٣)أخرجه البخاري (٧٤٠٣)، ومسلم(٣٤).

(٤)أخرجه ابن المبارك في الزهد (٨٢٦)، وأحمد (٢٣٩٥٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٥٨)

وقد عني الإسلام بهذا الأمر عناية فائقة واتخذ عددا من الطرق والعوامل لتحقيق الأمن في المجتمع الإسلامي منها:

• العناية بالفرد وتربيته وتنشئته تنشئه صالحة، لأن المجتمع يتكون من عدد من الأفراد فإذا كان الفرد المسلم عنده وازع إيماني يعصمه من ارتكاب الجريمة و إيذاء الناس صار هذا فيه حفظ للمجتمع المسلم من شرور هذا الفرد، و المجتمع كله هو مجموعة من الأفراد ولذلك نجد أن الإسلام عني بتنشئة البيت المسلم من البداية فوجه الرجل إلى الزواج بذات الدين فقال ﷺ: ((تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ))(٢)، وقالﷺ: لولي المرأة وللمرأة: ((إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ))(٣)، فإذا كان الزوج صاحب خلق ودين والزوجة ذات خلق ودين فإن هذا مظنة أن يكون أبناءهم متأثرين بهم فيعيشون في هذا الجو الصالح فيستفيد المجتمع ويحظون على المجتمع أمنه.

• **العناية بالمجتمع والأسرة هي التي تكون المجتمع**، ولذلك الأسرة تمنح الفرد المحضن التربوي الذي يحافظ على سلوكه ويضبط تصرفاته، فوجه النبي ﷺ إلى القيام بحماية أفرادها وقال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)) [التحريم: ٦] فهي مسؤولية الأسرة في تكوين محضن تربوي للأفراد كما أن

---

(١)أخرجه الترمذي (٤/ ٩٨) (٢٢٦٣) قال : حديث حسن صحيح.

(٢)أخرجه البخاري(٥٠٩٠)، ومسلم(٥٣).

(٣)أخرجه الترمذي (١٠٨٤)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٠٩٠).

مسؤولية المجتمع المحافظة على هذه الأسر التي يتشكل منها المجتمع.

• **التوجيه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، بحيث تكون ممارسة أو المحافظة على هذه الأجواء الصالحة وعلى رعاية المجتمع هي مسؤولية المجتمع بأكمله كما قال الله عز وجل: ((**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**)) [آل عمران: ١١٠]

وقال تعالى: ((**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**)) [التوبة: ٧١] فهي مسؤولية جماعية يقوم عليها كل أفراد المجتمع.

• **العقوبات والزواجر في الشريعة الإسلامية تحفظ أمن الناس**؛ فهناك زواجر وعقوبات وحدود شرعية لضبط المجتمع المسلم والمحافظة على أمنه فالقاتل يقتل والسارق تقطع يده والمحارب المفسد في الأرض إما أن يقتل أو يصلب أو تقطع يده رجلا من خلاف أو ينفى من الأرض، وهكذا المعتدي على العرض إن يرمي رجلا أو امرأة بالزنا يقام عليه حد القذف، من يسب أو يشتم يعذر و يتم بذلك حفظ أعراض المجتمع والمحافظة على أمنه ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: ((وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) [البقرة: **١٧٩**]، لأن قتل هذا الفرد القاتل يمنع غيره من أن يمارس عملية القتل فيكون في موته حياة للآخرين.

وأما عوامل إصلاح المجتمع المسلم:

إن العوامل التي بها صلاح المجتمع الإسلامي وغيره، هي العوامل التي قام بها إمام النبيين صلوات الله عليه، وقام بها صحابته الكرام رضوان الله عليهم من بعده، ومن المعلوم أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها، كما قال أهل الإيمان، ومن جملتهم إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله حيث قال: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما

صلح به أولها، فما لم يكن يومئذ دين فلا يكون اليوم دين[١].

ومن عوامل إصلاح المجتمع:

١ - إتباع ما جاء عن الله وعن رسوله: ومن أراد صلاح المجتمع الإسلامي، أو صلاح المجتمعات الأخرى في هذه الدنيا بغير الطرق والوسائل والعوامل التي صلح بها الأولون فقد غلط وأخطأ وقال غير الحق، فليس إلى غير هذا من سبيل. وكلّ ما جاء في القرآن مُلزِم الاتّباع، حيث إنّه يحتوي على المنهج الكامل لحياة المجتمع الإسلاميّ، وبالتّالي فهو يشمل كلّ ما يحتاجه هذا المجتمع، وما يحتاجه الإنسان في حياته، من عقائد وأخلاق، وأحكام عمليّة تتّصل بالعبادات والمعاملات الّتي تنظّم علاقة الإنسان بأمثاله وبالمجتمع وبالأمم والعالم. أمّا السّنّة النّبويّة فقد جاءت مكمّلة للقرآن، وأوجب الله على النّاس طاعة الرّسول في قبول ما شرعه لهم وامتثال ما يأمرهم به، وينهاهم عنه. إذن واجب للرّسول ﷺ على الأمّة أمران؛ الأوّل: الطّاعة فيما أتى به. والثّاني: أن يبلّغوا عنه ما أخبرهم به[٢].

قال تعالى: ((وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)) [الأعراف: ١٥٨]

وقال سبحانه: ((وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ))[الحشر: ٧]. فصلاح المجتمع وهدايته وفلاحه في اتباع ما جاء عن الله ورسوله ﷺ. وكل سوء وبلاء يحل بمجتمعنا مداره على مخالفة أمر الله ورسوله ﷺ،

---

(١)انظر مقال "عوامل إصلاح المجتمع"، للشيخ ابن باز ص: ٩، والاعتصام للشاطبي (١/ ٤٩).

(٢)نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٢/ ١٣).

٢-صلاح البيوت: إن ببناء المجتمع الصغير(الأسرة) بناءً سليما وبصلاحه يتم صلاح المجتمع الكبير(الدولة)، وإذا قامت الأسرة على أسس وطيدة من حسن العلاقة بين الزوج والزوجة والأبوين والأبناء وبين الأبناء بعضهم لبعض، وانتهجت في حياتها القيم الفاضلة التي غرسها الإسلام من المرحمة والمحبة، وأداء الواجب والقيام بحق الله، والحفاظ على قوانينه وتنفيذ منهجه وحسن تنظيم العلاقات الفردية والجماعية والإنسانية فلا شك أنها ستسعد(١).

وتربية الآباء للأبناء تربية حسنة هي أفضل وسيلة لبناء المجتمع، **قال ابْنُ عُمَرَ** رضي الله عنه، لِرَجُلٍ: أَدِّبِ ابْنَكَ، فَإِنَّكَ مَسْئُولٌ عَنْ وَلَدِكَ، مَاذَا أَدَّبْتَهُ؟ وَمَاذَا عَلَّمْتَهُ؟ وَأَنَّهُ مَسْئُولٌ عَنْ بِرِّكَ وَطَوَاعِيَتِهِ لَكَ(٢).

٣- نشر الدعوة بين الناس على علم وبصيرة: قال تعالى ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)) [يوسف: ١٠٨]

وأعظم ما يهتم به الداعية هداية قومه، والنصح لهم وأن تكون الدعوة على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية. وأول ما يُبدأُ به هو دعوة الناس إلي توحيد الله عز وجل وإرشادهم إلى تفاصيل ذلك. وبسبب التساهل الكثير من العلماء وطلبة العلم، الذين فقهوا توحيد الله، بسبب التساهل في هذا الأصل الأصيل، انتشر الشرك في بلدان كثيرة، وعبدت القبور وأهلها من دون الله وصرف لها الكثير من عبادة الله، وانتشرت الفواحش في أنحاء المجتمع -إلا من رحم ربك-وهذا من دسائس الشيطان

---

(١)المجتمع الإسلامي وبناء الأسرة(ص: ٣٥)، محمد صادق عفيفي.

(٢)أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥٠٩٨).

ومكائده، فإنه أحرص شيء على إزاحة الناس عن عقيدتهم، ودينهم وعلى إبعادهم عنها بكل وسيلة(١).

نماذج من المجتمع الإسلامي:

لو نظرنا على مر التاريخ لوجدنا كثيرًا من الأمثلة التي قد طُبق الإسلام تطبيقًا عمليًا في جميع جوانبه ومجالاته، ولقد أمر الله عز وجل بأوامر في أصل تربية الإنسان وهي تنمية داخلية ليس مجرد التزام ظاهري بل هو زراعة محبة أفراد المجتمع في القلب و هذا يؤدي لجلب الخير والنفع وكف الأذى والضر لذلك يقول الرسول ﷺ: ((ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ))(٢.

ومن مقتضيات الإيمان المحبة بين المسلمين وتحقيق هذا السلوك يؤدي لدخول الجنة بل عدم تحقيقه يمنع من دخول الجنة فالإسلام يريد أن يزرع بالمسلم محبة أفراد المجتمع فإذا أحبهم بقلبه فلا شك أن جوارحه ستتحرك بمقتضى هذه المحبة، فتجد أنه يحسن للآخرين ويبذل لهم الخير ويفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم ويتفاعل معهم فكانت هذه المحبة المتبادلة بين المسلمين علامة على تحقق الإيمان وفي الحديث يقول ﷺ((لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ))(٣)

---

(١)انظر تفسير السعدي (ص: ٤٠٦). وانظر مقال "عوامل إصلاح المجتمع"، للشيخ ابن باز (ص: ١٢).
(٢)أخرجه البخاري(٦٩٤١)، ومسلم(٦٨).
(٣)أخرجه مسلم(٩٣).

ودخول الجنة من أعظم الحوافز التي يحرص عليها المسلم [١].

ولقد مات رسول الله ﷺ بعدما أكمل الدين وأتم النعمة، ثم كان من بعده عصر الخلفاء الراشدين مليء بالأمثلة المتنوعة من عدل وإنصاف، وبر وإيخاء، وحب وتعاون وتراحم. على سبيل المثال:

•المجتمع الإسلامي أيام عمر رضي الله عنه كان يحكمه الشرع لا فوارق ولا طبقات توجد فيه، وإنما مساواة تامة، لا مساواة شعارات، أو مساواة نسبية حسب مراكز السلطة ومقامات الأفراد، وإنما هي مطلقة [٢].

ولو نظرنا في التاريخ لوجدنا كثير من الأمثلة التي تساعد على تنمية المجتمع، وتخريج جيل يحاكى جيل الصحابة رضوان الله عليهم، ليسوا مضيعين لأوقاتهم، منغمسين في المُلْهيات، لكنهم رجالاً أشداء لا يثنون للريح، يشقون الطريق بعزمٍ وجِدٍ، لا تلهيهم كرة، ولا يضيعهم تلفاز ولا هراء، وقتهم أعظم وأثمن من أن يضيع في مثل هذه الترهات، فالحياة الحقيقية للشجعان الأقوياء العاملين بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، لا مكان فيها للكُسالى والتنابلة والبطالين والمتخاذلين، نريد شباباً يتربى على معالي الأمور، ويترفع عن سفاسف الأمور.

والحمد لله رب العالمين

(١) الإسلام وبناء المجتمع، للدكتور عبدالله الريس.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي (٣/١٩٥)، لمحمود شاكر.

أسباب تحصيل البركة

ما يَمحَقُ البركة ويُذهِبُها كيف نُحصِّل البركة؟.

إن المرء ليعجب أشد العجب من حال السلف، وعِظَم ما أنجزوه وصنفوه، حتى إن الإنسان لو أفنى حياته في قراءة ما كتبوه ودونوه بأيديهم ما أستطاع أن ينهيه؛ فكيف بدراسته وحفظه وفهمه وتعليمه لغيره؟!.

ولعل السر في ذلك وهو ما لا يعرفه الكثير منا هو حصول البركة في حياتهم وبيوتهم وأوقاتهم وتمكنها في جميع شئونهم. فكان الصحابي الجليل والخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه يقرأ القرءان كاملاً في ركعة واحدة في ليلة(١)، وتعلَّم زيد بن ثابت رضي الله عنه لغة يهود في خمسة عشر يومًا(٢)، ومن ذلك أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية يقول عنه تلميذه ابن القيم: "**وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سَنَنِهِ وكلامِه وإقدامِه وكتابِه أمراً عجيباً، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة وأكثر**"(٣). وهذا والله من العجب، كيف استطاع شيخ الإسلام تحصيل ذلك في أوقات قليلة مقارنة بغيره دون أن يكون معه ما معنا اليوم من الوسائل الحديثة من إنترنت وكتب و مكتبات ومجلات وأبحاث وغير ذلك، ولا شك أن ذلك من البركة في الوقت والعمل، وَلَيْسَتْ سَعَةُ الرِّزْقِ وَالْعَمَلِ بِكَثْرَتِهِ، وَلَا طُولُ الْعُمُرِ بِكَثْرَةِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ، وَلَكِنَّ سَعَةَ الرِّزْقِ وَطُولَ الْعُمُرِ بِالْبَرَكَةِ فِيهِ. ولقد أطل علينا زمان تغيب منه البركة في الأوقات، والأعمال، والأرزاق،

---

(١) وانظر حلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ٥٧)، السنة لأبي بكر بن الخلال (٢/ ٣٣٢).

(٢) انظر صحيح البخاري(٧١٩٥)، فوائد أبي محمد الفاكهي (٧٨).

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم(ص: ٧٧).

والأموال، بل غابت البركة عن الأهل والبيوت، فتجد الكثير يشتكي "البيت فيه كثير خير ولا نشعر فيه بسعادة ولا متعة"، فلا تكاد تجد بركة في مال ولا ولد ولا زوجة ولا دار. وقد تجد الجل يدخل أحد الأسواق وجيبه ملئ بالمال فيخرج منه صفر اليدين دون أن يشترى منه ما يريد والله المستعان.

لذا كثرت الأسئلة في هذا **أين الحياة الطيبة؟! وأين العيشة الهنية؟!. . . أين البركة؟!.**

ومعنى البركة: الزيادة والنماء[١]. **وقال الفراء في قول الله تعالى:** {رحمت الله وبركاته عليكم}[هود: **٧٣**] قال: البركات: السعادة. **وقال أبو منصور:** وكذلك قوله في التشهد: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)، لأن من أسعده الله بما أسعد به النبي ﷺ فقد نال السعادة، المباركة الدائمة[٢].

وقال ابن الأثير في معنى: ((وبارك على محمد وعلى آل محمد)) أي: أثبت له وأدم ما أعطيته من التشريف والكرامة[٣].

ما يَمحَقُ البركة ويُذهِبُها؟

إن الخيرَ كلُّ الخير في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وقد جرت عادة الله وسنته في خلقه أن من حادَ عن شرع الله ودينه أن يمحق بركة علمه وعمره ودينه ودنياه إن فعل ذلك[٤].

ومعنى المَحق: قال الليث: المحق: النقصان وذهاب البركة. **وقال ابن الأعرابي:** المحق: أن يذهب الشيء كله حتى لا يرى منه شيء، ومنه قول الله: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا }[البقرة: **٢٧٦**]

---

(١) معجم العين للخليل بن أحمد(٥/ ٣٦٨).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (١٠/ ١٣١).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١/ ١٢٠).

(٤)انظر إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم(٤/ ١٣٤).

أي: يستأصل الله الربا فيذهب ريعه وبركته[١].

ومن الأسباب التي تمحق البركة:

١-كثرة الذنوب والمعاصي:

قال تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ }[الشورى: ٣٠]

وقال سبحانه: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [الروم: ٤١]

قال ابن القيم: "وَلَمْ تَزَلْ أَعْمَالُ بَنِي آدَمَ وَمُخَالَفَتُهُمْ لِلرُّسُلِ تُحْدِثُ لَهُمْ مِنَ الْفَسَادِ الْعَامِّ وَالْخَاصِّ مَا يَجْلِبُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْآلَامِ، وَالْأَمْرَاضِ، وَالْأَسْقَامِ، وَالطَّوَاعِينِ، وَالْقُحُوطِ، وَالْجُدُوبِ، وَسَلْبِ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ، وَثِمَارِهَا، وَنَبَاتِهَا، وَسَلْبِ مَنَافِعِهَا، أَوْ نُقْصَانِهَا أُمُورًا مُتَتَابِعَةً يَتْلُو بَعْضُهَا بَعْضًا، وَمِنْ عُقُوبَةِ المعاصي: أَنَّهَا تَمْحَقُ بَرَكَةَ الْعُمُرِ، وَبَرَكَةَ الرِّزْقِ، وَبَرَكَةَ الْعِلْمِ، وَبَرَكَةَ الْعَمَلِ، وَبَرَكَةَ الطَّاعَةِ. وَبِالْجُمْلَةِ أَنَّهَا تَمْحَقُ بَرَكَةَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، فَلَا تَجِدُ أَقَلَّ بَرَكَةٍ فِي عُمُرِهِ وَدِينِهِ وَدُنْيَاهُ مِمَّنْ عَصَى اللَّهَ، وَمَا مُحِقَتِ الْبَرَكَةُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا بِمَعَاصِي الْخَلْقِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }[الأعراف: ٩٦][٢].

قال ابن كثير: "قوله تعالى: {وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} أي: ولكن كذبوا رسلهم، فعاقبناهم بالهلاك على ما كسبوا من المآثم والمحارم"[٣].

٢- الحرص وكثرة الطمع والرغبة في الدنيا:

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري (٤/ ٥٣).

(٢) انظر الطب النبوي لابن القيم (ص: ٢٧٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥١).

عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: ((إِنَّ هَذَا الْمَالَ حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى))(١).

قال ابن حجر: "قوله ﷺ: ((خضرة حلوة)) شبهه -المال- للرغبة فيه والميل إليه وحرص النفوس عليه بالفاكهة الخضراء المستلذة فإن الأخضر مرغوب فيه على انفراده بالنسبة إلى اليابس والحلو مرغوب فيه على انفراده بالنسبة للحامض فالإعجاب بهما إذا اجتمعا أشد.

وقال ابن أبي جمرة في حديث حكيم رضي الله عنه فوائد منها: "أن فيه ضُرِب المثلُ لما لا يعقله السامع من الأمثلة لأن الغالب من الناس لا يعرف البركة إلا في الشيء الكثير فبين بالمثال المذكور أن البركة هي خلق من خلق الله تعالى وضرب لهم المثل بما يعهدون فالآكل إنما يأكل ليشبع فإذا أكل ولم يشبع كان عناء في حقه بغير فائدة وكذلك المال ليست الفائدة في عينه وإنما هي لما يتحصل به من المنافع فإذا كثر عند المرء بغير تحصيل منفعة كان وجوده كالعدم"(٢).

٣-ومما يذهب البركة البعد عن أسباب تحصيل البركة.

كيف نُحصِّل البركة؟

إن البركة كلها من الله كما أن الرزق من الله؛ فلا تطلب البركة إلا من الله؛ ويدل على هذا قوله تعالى: {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ}[هود: ٤٨]

وقوله: {رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ}[هود: ٧٣]

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى(٢٣٩٣)، وابن حبان (٣٢٢٠) بهذا اللفظ، وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٣٢١٠). وأصل الحديث في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري(٦٤٢٧) لكن بلفظ آخر.

(٢) وانظر فتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٣٦، ٣٣٧).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مَسعُود رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ الآيَاتِ بَرَكَةً، وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا، وفي الحديث أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: ((البَرَكَةُ مِنَ اللَّه))(١). وفي هذا إشارة إلى أن الإِيجَادَ للبركة من الله سبحانه. فالله عز وجل هو الذي يجعل البركة فيما يشاء وفيمن يشاء كما قال سبحانه: {وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ }[الأنبياء: ٧١]، ويبارك على من يشاء كما قال عن إبراهيم عليه السلام: {وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ} [الصافات: ١١٣]، وإذا كانت البركة من الله فطلبها من غيره شرك(٢). وَإِن بركَة الرجل تَعْلِيمه للخير حَيْثُ حل ونصحه لكل من اجْتمع بِهِ كما قَالَ الله تَعَالَى إِخْبَارًا عَن الْمَسِيح: {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْن مَا كنت} أَي معلمًا للخير دَاعيًا إِلَى الله مذكرًا بِهِ مرغبًا فِي طَاعَته فَهَذَا من بركَة الرجل وَمن خلا من هَذَا فقد خلا من الْبركَة ومحقت بركَة لِقَائِه والاجتماع بِهِ بل تمحق بركَة من لقِيه وَاجْتمعَ بِهِ، وَالله تَعَالَى متبارك لِأَن الْبركَة كلهَا مِنْهُ {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً}[الفرقان: ١](٣).

ومن الأسباب التي تجلب البركة على المرء وأهله وبيته وعمله ووقته ورزقه:

١ -تقوى الله عز وجل:

قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف: ٩٦] **قرأ ابن عامر**: لفتحنا -بتشديد التاء- وهو يفيد المبالغة، والبركات: جمع بركة، والمقصود من الجمع تعددها، باعتبار تعدد أصناف الأشياء المباركة(٤).

---

(١) أخرجه البخاري(٣٥٧٩).

(٢) وانظر فتح الباري لابن حجر (٦/ ٥٩٢)، دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ لشحاته صقر (٢/ ٢٧٦).

(٣) وانظر الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٧٣)، جلاء الأفهام (ص: ١٦٨).

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور(٩/ ٢١) شرح طيبة النشر لابن الجزري (ص: ٢٢٣).

والمعنى: لوسّعنا عليهم الخيرَ ويسّرناه لهم من كل جانبٍ.

وقال سبحانه: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: ٢، ٣]

وقال عز وجل: {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا} [الجن: ١٦]

فكلها نصوص على أن الأمة إذا استقامت على الطريقة القويمة شرعة الله لفتح عليهم بركات من السماء والأرض(١).

٢-قراءة القرءان:

قال تعالى: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأنعام: ١٥٥]

وقال عز وجل: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}[ص: ٢٩]

قال الألوسي: "قوله سبحانه: {مُبارَكٌ}أي كثير الفائدة والنفع لاشتماله على منافع الدارين وعلوم الأولين والآخرين صفة بعد صفة"(٢).

عَن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ، اقْرَؤُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَؤُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلاَ تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ. قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ: السَّحَرَةُ(٣).

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٨/ ٣١٩).

(٢) روح المعاني للألوسي (٤/ ٢٠٩).

(٣) أخرجه مسلم(١٨٢٥).

٣- بر الوالدين وصلة الرحم:

وهما من أعظم الأسباب التي تستجلب البركة في العمر والمال والأهل والأبناء والرزق، فالبر من أحب الأعمال إلي الله وأفضلها كما أخبر بذلك الصادق المصدوقﷺ لما سئل: أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ((الصَّلاَةُ لِوَقْتِهَا، وَبِرُّ الوَالِدَيْنِ، ثُمَّ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))(١).

ثم إن البر والصلة متصلة بالله عز وجل من وصل رحمه وصله الله ومن قطعها قطعه الله، ومن أراد أن يبارك له في عمره ورزقه فليصل رحمه.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍرضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهﷺ يقول: ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))(٢).

ومعنى البسط في رزقه هو البركة؛ لأن صلته أقاربه صدقة، والصدقة تُربى المال وتزيد فيه، وبسط الرزق توسيعه وكثرته وقيل البركة فيه(٣).

٤- التبكير في طلب الرزق:

عَنْ صَخْرٍ الْغَامِدِيِّرضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: (اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا) قَالَ: وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلاً تَاجِرًا وَكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ فَأَثْرَى وَأَصَابَ مالاً(٤).

قال ابن حجر: "وإنما خص البكور بالبركة لكونه وقت النشاط والقوة"(١).

---

(١) أخرجه البخاري(٧٥٣٤)، ومسلم(١٦٦) من حديث ابن مسعودرضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري(٢٠٦٧)، ومسلم(٢٠).

(٣) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٦/ ٢٠٦)، وإكمال المعلم للقاضي عياض(٨/ ١١).

(٤) أخرجه ابن ماجه(٢٢٣٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع(١٣٠٠).

وقال العجلوني: "العقل بكرة النهار يكون أكمل منه وأحسن تصرفا منه في آخره، ومن ثم ينبغي التبكير لطلب العلم ونحوه من المهمات"(٢).

٥- إقامة الصلاة في وقتها:

قال تعالى: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} [طه: ١٣٢]

قال ابن كثير: " وقوله: {لا نسألك رزقا نحن نرزقك} يعني إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب"(٣).

٦- التوكل على الله:

قال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطلاق: ٣]

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا))(٤).

قال ابن رجب: " وَهَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ فِي التَّوَكُّلِ، وَأَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي يُسْتَجْلَبُ بِهَا الرِّزْقُ"(٥).

٧- دوام الاستغفار:

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر (٦/ ١١٤).

(٢) كشف الخفاء (١/ ١٨٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٢٧).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥٢٥٤).

(٥) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/ ٤٩٦).

قال تعالى: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا}[نوح: ١١، ١٢]

عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مَرْوَانَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ نَسْتَسْقِي فَمَا زَادَ عَلَى الاسْتِغْفَارِ(١).

٨- السلام على الأهل:

قال سبحانه: {فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً}[النور: ٦١]

قوله تعالى: {تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} أي: قد شرعها لكم، وجعلها تحيتكم، {مُبَارَكَةً} لاشتمالها على السلامة من النقص، وحصول الرحمة والبركة والنماء والزيادة، {طَيِّبَةً} لأنها من الكلم الطيب المحبوب عند الله، الذي فيه طيب نفس للمحيا، ومحبة وجلب مودة.

وإنما كانت هذه التحية مباركة لما فيها من نية المسالمة وحسن اللقاء والمخالطة وذلك يوفر خير الأخوة الإسلامية(٢).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ : يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُونُ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ(٣).

وقال عَطَاءٌ: "إِذَا دَخَلْت عَلَى أَهْلِكَ فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً"(٤).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف(٣٠١٠٠)، وقال الألباني في الإرواء(٢/١٤٦) إسناده صحيح.

(٢) انظر تفسير السعدي (ص: ٥٧٦)، والتحرير والتنوير لابن عاشور(١٨/ ٣٠٥).

(٣) أخرجه الترمذي(٢٦٩٨)، قال الألباني حسن لغيره، انظر صحيح الترغيب والترهيب(١٦٠٨)، وتراجعات الألباني (٢٥٩).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف(٢٦٣٣٤).

٩-طلب البركة في أماكن مباركة وأزمنة مباركة:

كالمساجد فهي أفضل البقاع لا سيما المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى. وكشهر المحرم وشهر رمضان وعشر ذي الحجة، وأيام الجمعة والاثنين والخميس، والثلث الخير من الليل وأوقات السحر، كل هذه الأوقات جاءت الأدلة على فضلها إما من الكتاب أو السنة النبوية على صاحبها أتم الصلاة والتسليم.

والحمد لله رب العالمين

الـدِّينُ يُسْـرٌ

لقد خصَّ اللهُ عز وجل هذه الأمة بمزيَّة لم تكن توجد عند باقي الأمم والديانات السابقة لها، وهي أنَّ التكاليف الشرعية جاءت مُيسرة لا مَشقة فيها ولا عُسر، حتى تتماشى مع الطبيعة البشرية التي من عادتها أنها تنفر من الصعوبات، وتمقت التعقيدات، وذلك بسبب ما فطرت عليه من الضعف كما أخبر بذلك ربنا تبارك وتعالى بقوله: {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا } [النساء: ٢٨]

وهذا من رحمة الله التامة وإحسانه الشامل على عباده، فالإنسان بطبيعته يعتريه الضعف من كل الوجوه ضعف البنية، وضعف الإرادة، وضعف العزيمة، وضعف الإيمان، وضعف الصبر، فناسب ذلك أن يخفف الله عنه، ما يضعف عنه وما لا يطيقه إيمانه وصبره وقوته(١).

والأدلة على يُسرِ الشريعة الإسلامية كثيرة في القرءان الكريم والسنة النبوية:

- **أما أدلة القرءان الكريم:**

*قوله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة: ١٨٥]

وقوله سبحانه: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة: ٢٨٦]، {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا } [الطلاق: ٧]

* وقال عز وجل: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ} [الحج: ٧٨]

---

(١) وانظر تفسير السعدي(ص: ١٧٥).

- **وأما أدلة السنة النبوية:**

*عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلاَ تُنَفِّرُوا))(١).

* وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النبي ﷺ قَالَ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ، وَإِنْ قَلَّ))(٢).

*وَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ، كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ))(٣).

*عَنْ مِحْجَنِ بْنِ الْأَدْرَعِ رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ، إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ، إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ))(٤).

* وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا))(٥).

قوله ﷺ: [إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ] أي: دين الإسلام ذو يسر، وسَمِّى الدينَ يسرًا على سبيل المبالغة فكأنه لشدة اليسر فيه وكثرته، ثم كون هذا الدين يسرًا يجوز أن يكون بالنسبة إلى ذاته، ويجوز أن يكون بالنسبة إلى الأديان قبله لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصر الذي كان على من قبلهم، ومن أوضح الأمثلة له أن توبتهم كانت بقتل أنفسهم وتوبة

---

(١) أخرجه البخاري(٦٩)، ومسلم(٦).

(٢) أخرجه مسلم(١٧٧٧).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه(٣٥٦٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(١٨٨٦).

(٤) أخرجه أحمد(٢٠٣٤٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٣٣٠٩).

(٥) أخرجه البخاري(٣٩).

هذه الأمة بالإقلاع والعزم والندم[١].

تلك هي القاعدة الكبرى في الشريعة الإسلامية أن مبناها على التيسير الذي لا مشقة فيه ولا عسر.

لكن إشكالًا قد يحصل للبعض من أبناء الإسلام: بأن يفهموا اليسر على غير حقيقته، مما يدفعهم إلي إهمال كثير من الأمور الشرعية بحجة التيسير والتخفيف على أنفسهم، والعجيب أن مثل هؤلاء يحتجون ببعض الأدلة الشرعية دون فهم لها، ويتتبعون الرخص وزلات العلماء بحجة أن هذا الدين يسر، فيأخذوا بقول كل واحد دون النظر هل هذا القول موافق للشرع أم لا؟! المهم عندهم أن يوافق أي قول هواهم، وصدق الله إذ يقول: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْض} [البقرة: ٨٥]

وهؤلاء يُخشى عليهم من مشابهة اليهود إذ أن الله عز وجل ذمهم بقوله: {يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [المائدة: ٤١].

قيل: أن هذه الآية نزلت في أقوام من اليهود، قتلوا قتيلا وقالوا: تعالوا حتى نتحاكم إلى محمد، فإن أفتانا بالدية فخذوا ما قال، وإن حكم بالقصاص فلا تسمعوا منه[٢].

لذا فدعوى التيسير بهذه الطريقة دعوى باطلة مردودة على أصحابها[٣].

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر (١/ ٩٣)، وعمدة القاري لبدر الدين العيني(١/ ٢٣٥).

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٣٠٢)، تفسير ابن كثير (٣/ ١١٣).

(٣) ومن الأمثلة على ذلك ما يحدث للبعض ممن يتصدر للفتوى فيستعمل فيها الحيل التي لا تقوم على أصل شرعي ظنًا منه أن ذلك من التيسير على الناس، وفي هؤلاء يقول ابن القيم رحمه الله: "لا يجوز للمفتي تتبع الحيل المحرمة والمكروهة، ولا تتبع الرخص لمن أراد نفعه، فإن تتبع ذلك فسق، وحرم استفتاؤه، فإن حسن قصده

فلا يجوز تمييع أمور الدين بحجة التيسير لأن هذا مما لا يُقبلُ في الشريعة الإسلامية أبدًا، والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما روته أُمُّ المؤمنين عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قِبَلَ بَدْرٍ، فَلَمَّا كَانَ بِحَرَّةِ الْوَبَرَةِ أَدْرَكَهُ رَجُلٌ قَدْ كَانَ يُذْكَرُ مِنْهُ جُرْأَةٌ وَنَجْدَةٌ، فَفَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ رَأَوْهُ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: جِئْتُ لِأَتَّبِعَكَ، وَأُصِيبَ مَعَكَ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((تُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ؟)) قَالَ: لَا، قَالَ: ((**فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ**))، قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالشَّجَرَةِ أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، قَالَ: ((**فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ**))، قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ فَأَدْرَكَهُ بِالْبَيْدَاءِ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ: ((تُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ؟)) قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((فَانْطَلِقْ))(١).

وانظر كيف كان رد النبي ﷺ على هذا الرجل؟! أكثر من مرة يقول له: ((**فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ**))، على الرغم من اضطراره وحاجته وكان في أول أمره والذين معه قِلة إلا أنه لم يداهنه ولم يداره ولكن قال له مقالته هذه.

فاتباع الشرع والالتزام به هو سبيل التيسير، وعلى هذا سار سلفنا الصالح رحمة الله عليهم يقولُ عُمَيْرُ بْنُ إِسْحَاقَ: "لَمَنْ أَدْرَكْتُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَكْثَرُ مِمَّنْ سَبَقَنِي مِنْهُمْ، فَمَا رَأَيْتُ قَوْمًا أَيْسَرَ سِيرَةً، وَلَا أَقَلَّ تَشْدِيدًا مِنْهُمْ"(٢).

في حيلة جائزة لا شبهة فيها ولا مفسدة لتخليص المستفتي بها من حرج جاز ذلك، بل استحب، وقد أرشد الله تعالى نبيه أيوب عليه السلام إلى التخلص من الحنث بأن يأخذ بيده ضغثا فيضرب به المرأة ضربة". وانظر إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ١٧٠).

(١) أخرجه مسلم(١٥٠).

(٢) أخرجه الدَّارمي في سننه(١٢٨).

لكن هل معنى التيسير ترك التكاليف الشرعية والسعي وراء الملذات والملهيات؟! أم للأمر ضابط يحكُمُه. **ولا شك أن للتيسير ضوابط منها:**

١-وجود ما يدعوا إلي التيسير:

فلا بد أن يوجد ما يدعوا إلي التيسير من ضرورة أو حاجة تتنزل منزلة الضرورة، أو مشقة تستوجب التيسير، **قال شيخ الإسلام:** "وَمِنْ الْأُصُولِ الْكُلِّيَّةِ أَنْ الْمَعْجُوزَ عَنْهُ فِي الشَّرْعِ سَاقِطُ الْوُجُوبِ"(١)، فإذا لم يوجد ذلك فإن التيسير يكون اتباعًا للهوى وتحكيمًا للشهوة.

وعليه يفرق بين من لابس الحكم الشرعي فعجز ،ومن ادعى العجز قبل ملابسته الحكم.

٢-أن يكون التيسير قائمًا على دليل شرعي:

فلابد من استناده على دليل شرعي يؤيده، إما من كتاب أوسنة.

قال أَبُو حَفْصٍ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ النَّيْسَابُورِيُّ: " مَنْ لَمْ يَزِنْ أَفْعَالَهُ وَأَحْوَالَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَمْ يَتَّهِمْ خَوَاطِرَهُ، فَلاَ تَعُدَّهُ فِي دِيوَانِ الرِّجَالِ"(٢).

٣-ألا يعارض نصًا شرعيًا:

فكل قول مخالف لنص شرعي مردود على صاحبه، كما في حديث أم المؤمنين عائشةرضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال((مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))(٣).

فيشترط للأخذ بالأيسر ألا يخالف نصًا شرعيًا أو إجماعًا.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٥٥٩).

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠/ ٢٣٠)، والبيهقي شعب الإيمان(١٧٢٣).

(٣) أخرجه مسلم(١٨).

قال الْقَرَافِيُّ: " كُلُّ شَيْءٍ أَفْتَى فِيهِ الْمُجْتَهِدُ فَخَرَجَتْ فُتْيَاهُ فِيهِ عَلَى خِلاَفِ الْإِجْمَاعِ أَوْ الْقَوَاعِدِ أَوْ النَّصِّ أَوْ الْقِيَاسِ الْجَلِيِّ السَّالِمِ عَنْ الْمُعَارِضِ الرَّاجِحِ لَا يَجُوزُ لِمُقَلِّدِهِ أَنْ يَنْقُلَهُ لِلنَّاسِ وَلَا يُفْتِي بِهِ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْفُتْيَا بِغَيْرِ شَرْعٍ حَرَامٌ"(١).

٤-ألا يكون فيه تتبع للرخص والزلات:

قال الأوزاعيُّ: "مَنْ أَخَذَ بِنَوَادِرِ الْعُلَمَاءِ خَرَجَ مِنَ الإِسْلاَمِ"(٢).

وَقَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ: "لَوْ أَخَذْتَ بِرُخْصَةِ كُلِّ عَالِمٍ أَوْ زَلَّةِ كُلِّ عَالِمٍ اجْتَمَعَ فِيكَ الشَّرُّ كُلُّهُ"(٣).

٥-ألا يكون فيه إثمٌ:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: "مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ"(٤).

قال النووي: فيه استحباب الأخذ بالأيسر والأرفق ما لم يكن حرامًا أو مكروهًا (٥).

وقال إِبْرَاهِيمُ النخعيُّ: "إِذَا تَخَالَجَكَ أَمْرَانِ فَظُنَّ أَنَّ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللَّهِ أَيْسَرُهُمَا"(٦).

مظاهر التيسير في الشريعة الإسلامية:

مما سبق يتبين لنا أن الشريعة الإسلامية مُيسرة لا مشقة فيها ولا عسر، فاقتضت حكمة الله تعالى أن تكون الشريعة الخاتمة عامة ميسورة يسهل فهمها وتعقلها والعلم

---

(١) الفروق للقرافي(٢/ ١٠٩).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(٢١٤٤٦).

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر(١٧٦٦).

(٤) أخرجه البخاري(٣٥٦٠)، ومسلم(٦١١٥).

(٥) شرح النووي على مسلم (١٥/ ٨٣).

(٦) الآثار لأبي يوسف(٨٨٨).

بها لتسع الجميع إذ لوكان العلم بها عسيرًا لكان من العسير على جمهور المكلفين بها أخذها ومعرفتها أولًا، والامتثال لأوامرها ونواهيها ثانيًا(١).

وتظهر معالم التيسير للشريعة الإسلامية في مجالات كثيرة منها:

١- تيسير القرءان:

فقد جعل الله عز وجل القرءان ميسرًا حتى يسهل الأخذ به وفهمه وتدبره وحفظه، وفي تيسير القرءان قال سبحانه: {إِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا}[مريم: ٩٧]

وقال عز وجل: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } [الدخان: ٥٨]

وقال تعالى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ }[القمر: ١٧]

ومعنى تيسير القرءان: تيسير اللفظ وخلوه من التعقيد حتى يسهل حفظه وتسهل تلاوته على الألسن، ولم يكن شيء من كُتبِ الله تعالى يحفظ على ظهر القلب غير القرآن.

ومنه تيسير المعنى حتى يسهل فهمه وتدبره على الناس، ولذا يقول الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه: لولا أن الله يسره على لسان الآدميين، ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله، عز وجل(٢).

٢- العقيدة الإسلامية:

وعن يسر وسهولة العقيدة الإسلامية يقول **الإمام الشاطبي**: "إن التَّكَالِيفَ الاِعْتِقَادِيَّة جَاءَت بحيثُ يَسَعُ الْأُمِّيَّ تَعَقُّلُهَا، لِيَسَعَهُ الدُّخُولُ تَحْتَ حُكْمِهَا، وحَتَى تَكُونَ قريبةً لِلْفَهْمِ،

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (١٤/ ٢١٥).

(٢) وانظر تفسير ابن كثير(٧/ ٤٧٨)، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٩/ ٣٠٠). والأثر أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٥٧٢)، والبغوي في شرح السنة (١/ ١٨٢).

مُسهلةً عَلَى الْعَقْلِ، بِحَيْثُ يَشْتَرِكُ فِيهَا الْجُمْهُورُ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ ثَاقِبَ الْفَهْمِ أَوْ بَلِيدًا، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مِمَّا لَا يُدْرِكُهُ إِلَّا الْخَوَاصُّ، لَمْ تَكُنِ الشَّرِيعَةُ عَامَّةً، وَلَمْ تَكُنْ أُمِّيَّةً، وَقَدْ ثَبَتَ كَوْنُهَا كَذَلِكَ، فَلاَ بُدَّ أَنْ تَكُونَ الْمَعَانِي الْمَطْلُوبُ عِلْمُهَا وَاعْتِقَادُهَا سَهْلَةَ الْمَأْخَذ"(١).

ومن الأدلة أيضًا على سهولة العقيدة وعمومها أن الأعاجم لا يجدون فيها صعوبة ولا مشقة، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً أتى النبي ﷺ بجارية سوداء أعجمية، فقال: يا رسول الله؛ إن علي عتق رقبة مؤمنة، فقال لها رسول الله ﷺ: "أين الله؟ "، فأشارت إلى السماء بإصبعها السبابة، فقال لها: "مَنْ أنا؟ "، فأشارت بإصبعها إلى رسول الله ﷺ وإلى السماء، أي: أنت رسول الله، فقال: "أعتقها"(٢).

٣- الأحكام الشرعية:

الأحكام التكليفية خمسة وهي: الإباحة، والندب، والكراهة، والوجوب، والتحريم.

- **فأما المباحات:** فلا مشقة فيها من جهة الشرع لأن الخيار في فعلها أو تركها إلى المكلف.
- **وأما المندوبات والمكروهات:** فنظرًا إلى عدم استلزام فعلها أو تركها لعقوبة يُعلم أن للمكلف فيها خيارًا كذلك، إلا أن الشارع رغب في فعل المندوبات وترك المكروهات لحصول الأجر.
- **وأما الفرائض والواجبات:** فلم يكلفنا الله تعالى فيها ما فيه مشقة خارجة عن المعتاد، ولا ترك العباد من غير تكليف، بل كانت الشريعة في هذا الأمر جارية على الطريق الوسط الأعدل.

---

(١) وانظر الموافقات للشاطبي(٢/ ١٤١).

(٢) الحديث أخرجه أحمد بهذا اللفظ(٧٨٩٣)، وأصله عند مسلم(١١٣٦) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

- **وأما باب المحرمات:** فإن التيسير فيه واضح، فإن الشارع الحكيم برحمته ضيَّقَ باب التحريم جدًا، حتى إن محرمات الأطعمة يوردها القرآن غالبا على سبيل الحصر والقصر، كما في قوله تعالى: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[البقرة: ١٧٣]

فالأصل في المطعومات ونحوها الإباحة، والتحريم استثناء(١).

٤- العبادات:

وفي تيسير العبادة تخفيف على الناس حتى يسهل أداءها بلا مشقة، **ومن مظاهر تيسير العبادة في الإسلام:**

- **تيسير الطهارة:**

الطهارة من الأمور الضرورية التي يحتاج إليها المسلم في صلاته وغسله وسائر عباداته، ولو كان فيها شيء من الشدَّة لكان أداء العبادة صعبًا، وهذا من رحمة الله بعباده، ومن ذلك: أن الله عز وجل شرع التيمم عند انعدام الماء أو تعذر استعماله، وجعل طهارة الثياب إذا أصيبت بالنجاسة بالنضح أو الغسل، وقد كانت على خلاف ذلك عند السابقين من الأمم قبلنا، فَعَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ رضي الله عنه يُشَدِّدُ فِي البَوْلِ، وَيَقُولُ: " إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا أَصَابَ ثَوْبَ أَحَدِهِمْ قَرَضَهُ "(٢).

- **تيسير الصلاة:**

---

(١) وانظر الموسوعة الفقهية الكويتية (١٤/ ٢٢٤).

(٢) أخرجه البخاري(٢٢٦). ومعنى [يشدد] يحتاط، ومعنى[قرضه] قطعه.

فرضت الصلاة خمس مرات في اليوم وقد كانت خمسين في البداية ثم خففت لخمس بأجر خمسين، وهي لا تحتاج إلي وقت طويل ولا تعيق الإنسان عن أداء أعماله اليومية، ومن التيسير في الصلاة، كالجمع بين الصلوات وقصر الصلاة الرباعية ركعتين في السفر، والجو الماطر، وتخفيفها في حالة المرض والعجز كقول النبيﷺ لمن أصابه المرض((صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ))[1].

- **تيسير الزكاة:**

فُرِضَت الزكاة طهرة للمؤمنين وصدقة على الفقراء والمساكين، ولم تفرض إلا بقدر من المال قليل بعد بلوغ النصاب وحول الحول عليها باستثناء أموال أخرى لا تحتاج إلى حول كزكاة الحرث والركاز وغيرها. ومن التيسير أيضًا أن الشارع حدد نصابها وأصنافها وحدد مصارفها الشرعية.

- **تيسير الصيام:**

فقد رخص الإسلام الإفطار للحامل والمرضع إن خافت على نفسها وولدها، وكذلك رخص في الإفطار للمسافر والشيخ الكبير العاجز.

- **تيسير الحج:**

ومن تيسير الحج أن الله عز وجل لم يفرضه إلا على المستطيعين من المكلفين، كما قال سبحانه: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً } [آل عمران: ٩٧]

ومن سُبل تيسير الحج في الشريعة الإسلامية أنه رخص لمن عجز عن الحج أن يوكل أو يستأجر من يحمله أو يحج عنه كما في الحديث أن امْرَأَةً مِنْ خَشْعَمَ قَالَتْ: يَا

---

(١) أخرجه البخاري(١١١٧)، من حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه.

رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا، لاَ يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: ((نَعَمْ))(١). بل في الحديث نوع آخر من التيسير في الحج وهو جواز حج المرأة عن الرجل.

٥- المعاملات:

للمعاملات نصيب من التيسير كما هو موجود في سائر أمور الدين ومن ذلك:

- **البيوع**: فقد رغب الشرع في التسامح بين الناس في البيع والشراء كما في الحديث أن النبي ﷺ قال: ((رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى))(٢).

وكذلك شرع فيها بعض الأمور التي تجلب التيسير فيه، كخيار المجلس، ورد السلع للعيب كل ذلك شُرع دفعًا للضرر بين المتبايعين. وشُرع خيار الشرط للمشتري دفعًا للندم(٣).

- **المطالبة بالديون:**

أذنت الشريعة لصاحب الحق في المطالبة بدينه والإغلاظ فيه إن تبين للدائن مماطلة من المدين، لقول النبي ﷺ: ((لَيُّ الواجِدِ يحل عِرضَه وعقوبَتَه)). **قال ابن المبارك**: يُحِلُّ عرضَه: يُغلِّظُ له، وعقوبتُه: يُحبَسُ له(٤).

---

(١) أخرجه البخاري(١٥١٣)، ومسلم(٤٠٧).

(٢) أخرجه البخاري(٢٠٧٦) من حديث جابر بن عبد الله.

(٣) وانظر المغني لابن قدامة (٥/ ١٠١، ٦/ ٥٧)، والموسوعة الفقهية الكويتية (١٤/ ٢٣٧).

(٤) أخرجه أبو داوود(٣٦٢٨)، وصححه الألباني في المشكاة(٢٩١٩). وذكره البخاري تعليقًا في بَابِ: لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالٌ (٣/ ١١٨)

لكن إذا تبين للدائن أن المدين معسر لا يجد ما يؤدي به فإن الإنظار واجب، وذلك تيسرًا عليه لقوله تعالى: {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[البقرة: ٢٨٠]

ولقول النبيﷺ: ((تَلَقَّتِ الْمَلاَئِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: لاَ، قَالُوا: تَذَكَّرْ، قَالَ: كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَآمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِرَ، وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ، قَالَﷺ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: تَجَوَّزُوا عَنْهُ))[١].

وختاماً؛ فلقد أخبرنا نبينا ﷺ بالرفق واليسر في أمور ديننا في أحاديث كثيرة وأرشدنا القصد في الأخذ بها وترك الغلو والتفريط، فقالﷺ: ((القَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا))[٢].

قال الطيبي: "عليكم بالقصد في الأمور في القول والفعل، وهو الوسط بين الطرفين من الإفراط والتفريط"[٣].

والاقتصاد إنما يكون بلزوم السنة والتقيّد بهدي النبي الكريم ﷺ بلا غلو ولا جفاء ولا إفراط ولا تفريط.

والحمد لله رب العالمين

(١) أخرجه البخاري(٢٠٧٧)، ومسلم(٢٦) واللفظ له. من حديث حذيفة بن اليمانرضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري(٦٤٦٣).

(٣) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٦/ ١٨٦٥).

ذو النورين عثمان بن عفان

من هو كيف أسلم مناقبه محنته

إن عودة الأمة لما كانت عليه في قيادتها للبشرية منوطة بسيرها على هدى النبي ﷺ وخلفائه الراشدين.

وإن النظر في سِيَر الصحابة والتمسك بما كانوا عليه، فيه إفادة في إعداد جيل مسلم يتربى على منهاج النبوة.

لذا يقول الإمام أحمد رحمه الله: "أصُول السّنة عندنَا التَّمَسُّك بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ والاقتداء بهم"(١).

من هو؟

هو أَبُو عَمْرٍو وَ قِيلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، الْقُرَشِيُّ، الْأُمَوِيُّ، أمير المؤمنين، ذو النورين، وصاحب الهجرتين، وَزَوْجُ الِابْنَتَيْنِ، عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَهُوَ أَحَدُ العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشُّورَى، وَأَحَدُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَصَتْ لَهُمُ الْخِلَافَةُ مِنَ السِّتَّةِ، ثُمَّ تَعَيَّنَتْ فِيهِ بِإِجْمَاعِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَكَانَ ثَالِثَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ، الْمَأْمُورِ بِاتِّبَاعِهِمْ وَالِاقْتِدَاءِ بِهِمْ(٢).

كيف أسلم؟

---

(١) أصول السنة لأحمد بن حنبل (ص: ١٤).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٩٨)، لابن كثير، الكامل في التاريخ لعز الدين بن الأثير (٢/ ٥٥٢)،.

أَسْلَمَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدِيمًا عَلَى يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ عُثْمَانُ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا عُثْمَانُ إِنَّكَ لَرَجُلٌ حَازِمٌ، مَا يَخْفَى عَلَيْكَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، مَا هَذِهِ الْأَصْنَامُ الَّتِي يَعْبُدُهَا قَوْمُنَا؟ أَلَيْسَتْ مِنْ حِجَارَةٍ صُمٍّ لَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ؟ قَالَ: قُلْتُ بَلَى! وَاللَّهِ إِنَّهَا لَكَذَلِكَ، قال: فاجتمعنا برسول الله ﷺ فقال: يا عثمان أجب الله إلى حقه، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ وَإِلَى خَلْقِهِ قَالَ: فو الله ما تمالكت نفسي مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَسْلَمْتُ وَشَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شريك له[1]. لا شك أن في قول عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أثرًا إيجابيًا على النفوس إذ أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يتكاسل ولم يتلعثم ولم يتلكأ في استجابته لأمر الله ورسوله ﷺ فحق له أن يكون من السابقين الأولين الذين قال الله عنهم: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١٠٠]

مناقب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

نشأ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الأخلاق الفاضلة الكريمة، والسيرة الحسنة الحميدة، وكان حيياً، شديد الحياء، عفيف النفس، واللسان، أديب الطبع، ولحسن خلقه، ومعاملته؛ أحبته قريش حتى ضربت العرب المثل بحبها له. وفي ذلك يقول الشعبي: "كان عثمان في قريش محبباً يُوصُون إليه، ويعظمونه، وإن كانت المرأة من العرب تُرقِّص صبيها وهي تقول:

أُحِبُّك والرحمـــن حبَّ قريش لعثمان[2].

(أ)عبادته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩/ ٢٥).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩/ ٢٥١).

كان لعثمان رضي الله عنه قلبًا عامرًا بالإيمان بالله مراقبًا لله مخبتًا وجِلاً، عن السائب بن يزيد أن عثمان قرأ القرآن ليلة في ركعة(١).

قَالَ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ: قَالَتِ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ حِينَ أَطَافُوا بِهِ يُرِيدُونَ قَتَلَهُ: (إِنْ تَقْتُلُوهُ أَوْ تَتْرُكُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ يُحْيِي اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي رَكْعَةٍ يَجْمَعُ فِيهَا الْقُرْآنَ)(٢).

(ب)حـياءه رضي الله عنه:

لقد اشتهر عثمان رضي الله عنه بحيائه بين الصحابة، فحري بنا أن نقتدي بهذا الحبي الكريم عثمان بن عفان رضي الله عنه، فإن الحياء صفة طيبة، وخلق كريم من أخلاقيات الإسلام، ولله در القائل:

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه.....فلا خير في وجه إذا قل ماؤه

حياؤك فاحفظه عليك فإنما.....يدل على وجه الكريم حياؤه

فالحياء يبعث على ترك الأمور القبيحة، ويحول بين الإنسان وارتكاب المعاصي، والرجل ذو الحياء لا يمكن أن ينتهك حرمات الله. كما قال النبي ﷺ ((**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**))(٣).

وعن حياء عثمان قالت عَائِشَةُ رضي الله عنها: إن رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيِيٌّ (٤).

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٤٨٢)، تحفة الأحوذي (٢/ ٤٥٧).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ٥٧)، السنة لأبي بكر بن الخلال (٢/ ٣٣٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٦٩).

(٤) أخرجه مسلم(٢٤٠٢).

عن عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ، أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَسَوَّى ثِيَابَهُ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ - فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقَالَ: ((**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ**))(١).

وَذَكَرَ الْحَسَنُ عُثْمَان وَشِدَّةَ حَيَائِهِ، فَقَالَ: إِنْ كَانَ لَيَكُونُ فِي الْبَيْتِ، وَالْبَابُ عَلَيْهِ مُغْلَقٌ، فَمَا يَضَعُ عَنْهُ الثَّوْبَ لِيُفِيضَ عَلَيْهِ الْمَاءَ، يَمْنَعُهُ الْحَيَاءُ أَنْ يُقِيمَ صُلْبَهُ(٢).

(ج)جـــوده رضي الله عنه:

إن عثمان رضي الله عنه لم يترك بابا من أبواب الخير إلا سلكه فكان مثالًا حقيقيًا لمعنى الجود، ومن أمثلة ذلك:

- **حفره بئر رومة:**

لم تكن المياه العذبة متوفرة في المدينة، وكان أحسن بئر في المدينة به ماء عذب بئر رومة، وكان لرجل يهودي وكان يتحكم في بيع الماء، فقال ﷺ: ((مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلَ دَلْوَهُ مَعَ دِلاَءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ؟))(٣)، فذهب عثمان رضي الله عنه، وساومه على البئر فأبى، فاحتال له عثمان وقال: بعني نصفه بقيمته، فوافق. فكان يوماً لعثمان ويوماً لليهودي، فقام عثمان ونادى في المدينة، اليوم الذي لي أبيحه للجميع

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٨٦٦) (٢٤٠١)

(٢) غاية المقصد في زوائد المسند (٣/ ٣٥٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٠٣)، وحسنه الألباني في الإرواء (١٥٩٤).

يأخذونه في سبيل الله، فكان الناس يأخذون الماء مجاناً في يوم عثمان، وفي يوم رومة يبيعه لهم، فصاروا يأخذون في يوم عثمان ما يكفيهم ليومين، ثم ساوم اليهودي عثمان على أن يشتري النصف الآخر ولو بربع الباقي، فاشتراه عثمان وصار بئر عثمان. فلما عُلِق عليها العُلَق مر بها رسول الله ﷺ فسأل عنها، فأُخبر أن عثمان اشتراها وتصدق بها، فقال: "اللهم أوجب له الجنة"، ودعا بدلو من مائها فشرب منه(١).

- **تجهيزه جيش العسرة:**

في سنة تسع من الهجرة أصاب الناس عُسْرَة، وَشِدَّةٍ مِنْ الْحَرِّ، وَجَدْبٍ مِنْ الْبِلاَدِ: وَحِينَ طَابَتْ الثِّمَارُ، وَالنَّاسُ يُحِبُّونَ الْمُقَامَ فِي ثِمَارِهِمْ وَظِلاَلِهِمْ، فَأَمَرَ النبيﷺ النَّاسَ بِالْجِهَازِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ يُرِيدُ الرُّومَ، وقال: "مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ"؟ (٢)، فتسابق الخيرون في هذا المضمار فكان أسبقهم عثمانرضي الله عنه، قيل إنه حمل على ألف بعير ومائة فرس وجهزها أتم جهاز حتى لم يفقدوا عقالاً وخطاماًرضي الله عنه(٣). قال عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَرضي الله عنه: جَاءَ عُثْمَانُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَلْفِ دِينَارٍ فَنَثَرَهَا فِي حِجْرِهِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ وَيَقُولُ: "مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ مَرَّتَيْنِ"(٤).

(د)تبشير النبيﷺ له بالشهادة والجنة:

---

(١) الطبقات الكبرى، لابن سعد(١/ ٥٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٧٨).

(٣) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٥١٦)، الفصول في السيرة (ص: ٢١٠) لابن كثير.

(٤) أخرجه الترمذي(٣٧٠١)، وحسنه الألباني في المشكاة(٦٠٧٣).

عن سعيد بن زيدﷺ أنه قال: أشهدُ على رسولِ اللهﷺ أني سمعتُه وهو يقول: "أبو بكر في الجنة، وعُمَرُ في الجنة، وعثمانُ في الجنة"(١). وعن أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ أُحُدًا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ: "اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ"(٢).

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فِي حَائِطٍ مِنْ حَائِطِ الْمَدِينَةِ، فذكر الحديث وفيه "ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ آخَرُ، قَالَ فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: افْتَحْ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تَكُونُ، قَالَ: فَذَهَبْتُ فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، قَالَ: فَفَتَحْتُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، قَالَ: وَقُلْتُ الَّذِي قَالَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ صَبْرًا، أَوِ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ"(٣).

محنة عثمانﷺ:

أخبر النبيُّ ﷺ في حياته عثمانَ ﷺ أنه ستصيبه بلوى، وأنه سيموت فيها شهيداً، وعهد إليه بالصبر على تلك البلوى، فأطاع عثمان ﷺ نبيَّه، ولم يخالف أمره، ولم ينقض عهده. عَنْ عَائِشَةَﷺ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " ادْعُوا لِي بَعضَ أَصْحَابِي. . . ، وفيه: "فَجَعَلَ يُسَارُّهُ، وَلَوْنُ عُثْمَانَ يَتَغَيَّرُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الدَّارِ وَحُصِرَ فِيهَا، قُلْنَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا تُقَاتِلُ؟ قَالَ: " لَا، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا، وَإِنِّي صَابِرٌ نَفْسِي عَلَيْهِ(٤). وكل ما أخبر به النبيﷺ من أمر الفتنة قد وقع، فقد ظهر مجموعة من

---

(١) أخرجه أبو داوود(٤٦٤٩)، وصححه الألباني في المشكاة(٦١١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٥).

(٣) أخرجه مسلم(٢٤٠٣).

(٤) أخرجه أحمد (٢٤٢٥٣)، وصححه الألباني في المشكاة(٦٠٧٩).

ينقمون على الخليفة الراشد عثمان بعض الأمور، ويفترون عليه الكذب، من هذه الأمور:

(أ) عدم شهوده غزوة بدر: قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنَّمَا تَغَيَّبَ عُثْمَانُ عَنْ بَدْرٍ، فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ"(١). فلما كان غائبًا في حاجة الله ورسوله جعله رسول الله ﷺ كمن حضرها(٢).

(ب) توليه يوم أحد عن المعركة:

لما خالف الرماة في غزوة أحد أمر النبي ﷺ كانت الكَرَّةُ عليهم، وفقد المسلمون مواقعهم، وأخذوا يقاتلون دون تخطيط، فلم يستطيعوا تمييز بعضهم من بعض وأسقط في أيديهم، ففر كثيرون منهم من ميدان القتال، وانتحى بعضهم جانباً دون قتال، في حين آثر آخرون الموت على الحياة فقاتلوا حتى الموت وقد ذكر الله جل وعلا خبر الفرار، فقال: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ} [آل عمران: **١٥٥**].

قال الطبري رحمه الله: تولى أناس من أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد عن القتال وعن نبيّ الله يومئذ، وكان ذلك من أمر الشيطان وتخويفه، فأنزل الله عز وجل: أنه قد تجاوز لهم عن ذلك وعفا عنهم(٣).

---

(١) أخرجه البخاري(**٣١٣٠**).

(٢) انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال (**٥/ ٢٩٤**).

(٣) تفسير الطبري (**٧/ ٣٢٨**).

(ج) تخلفه عن بيعة الرضوان: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُثْمَانَ إِلَى مَكَّةَ فَاسْتَقْبَلَهُ أَهْلُهُ وَرَهْطُهُ وَرَكَّبُوهُ قُدَّامَهُمْ، وَأَجَارُوهُ مِنْ تَعَرُّضِ أَحَدٍ لَهُ وَقَالُوا: طُفْ بِالْبَيْتِ لِعُمْرَتِكَ، فَقَالَ: حَاشَا أَنِّي أَطُوفُ فِي غَيْبَتِهِ ﷺ وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَمَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، أَيْ وَشَاعَ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ تَعَرَّضُوا لِحَرْبِ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَعَدَّ الْمُسْلِمُونَ لِلْقِتَالِ، وَبَايَعَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ عَلَى أَنْ لَا يُغَرُّوا، وَقِيلَ بَلْ جَاءَ الْخَبَرُ بِأَنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ.

فَبَايَعَ ﷺ النَّاسَ، ثم قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ عُثْمَانَ فِي حَاجَةِ اللهِ وَحَاجَةِ رَسُولِهِ. فَضَرَبَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الأُخْرَى، فَكَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِعُثْمَانَ خَيْرًا مِنْ أَيْدِيهِمْ لأَنْفُسِهِمْ(١).

(د) جمع القرآن وحرق المصاحف: عن أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ رضي الله عنه، قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَةَ، وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ العِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي القِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ، قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الكِتَابِ اخْتِلاَفَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: "أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ"، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ "، وَأَرْسَلَ عثمان إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ القُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ، أَنْ يُحْرَقَ(٢).

فعاب الخارجين على عثمان رضي الله عنه جمعه للمصحف، فقال عَلِيُّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَغْلُوا فِي عُثْمَانَ وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا فِي الْمَصَاحِفِ وَإِحْرَاقِ الْمَصَاحِفِ،

---

(١) انظر صحيح البخاري(٣٦٩٨)، وسنن الترمذي(٣٧٠٢)، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٩٢٧).
(٢) أخرجه البخاري (٤٩٨٧).

فَوَاللَّهِ مَا فَعَلَ الَّذِي فَعَلَ فِي الْمَصَاحِفِ إِلَّا عَنْ مَلأٍ مِنَّا جَمِيعًا(١).

وقال أبو مِجْلَزٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: عَابُوا عَلَى عُثْمَانَ تَمْزِيقَ الْمَصَاحِفِ وَآمَنُوا بِمَا كُتِبَ لَهُمْ(٢).

وقال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وأما جمع القرآن، فتلك حسنته العظمى، وخصلته الكبرى، فإنه حسم مادة الخلاف فيها، وكان نفوذ وعد الله بحفظ القرآن على يديه"(٣).

(هـ) نَفْيُ أَبِي ذَرٍّ إِلَى الرَّبَذَةِ: قال زَيْدُ بْنِ وَهْبٍ: مَرَرْتُ بِالرَّبَذَةِ فَإِذَا أَنَا بِأَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْزَلَكَ مَنْزِلكَ هَذَا؟ قَالَ: "كُنْتُ بِالشَّأْمِ، فَاخْتَلَفْتُ أَنَا وَمُعَاوِيَةُ فِي: {الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ} [التوبة: ٣٤]، قَالَ مُعَاوِيَةُ: نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الكِتَابِ، فَقُلْتُ: " نَزَلَتْ فِينَا وَفِيهِمْ، فَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي ذَاكَ، وَكَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَشْكُونِي، فَكَتَبَ إِلَيَّ عُثْمَانُ: أَنِ اقْدَمِ المَدِينَةَ فَقَدِمْتُهَا، فَكَثُرَ عَلَيَّ النَّاسُ حَتَّى كَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْنِي قَبْلَ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُ ذَاكَ لِعُثْمَانَ، فَقَالَ لِي: إِنْ شِئْتَ تَنَحَّيْتَ، فَكُنْتَ قَرِيبًا، فَذَاكَ الَّذِي أَنْزَلَنِي هَذَا المَنْزِلَ، وَلَوْ أَمَّرُوا عَلَيَّ حَبَشِيًّا لَسَمِعْتُ وَأَطَعْتُ(٤).

وفي هذا دليل على بطلان دعوى الخارجين بأن عثمان طرد أبا ذر إلى الربذة، وإنما كان أبو ذر رجلاً زاهدًا.

(و) رَدُّ عُثْمَانَ الْحَكَمَ، وَقَدْ نَفَاهُ النَّبِيُّ ﷺ: زعم البغاة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَدَ الْحَكَمَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ عَمَّ عُثْمَانَ عَنِ الْمَدِينَةِ، وَمَعَهُ ابْنُهُ مَرْوَانُ، فَلَمْ يَزَلْ هُوَ وَابْنُهُ طَرِيدَيْنِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَلَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ آوَاهُ وَرَدَّهُ إِلَى الْمَدِينَةِ. قال ابن

---

(١) المصاحف لابن أبي داود (ص: ٩٧).

(٢) المصنف لابن أبي شيبة (٣٧٦٧٨).

(٣) العواصم من القواصم (ص: ٨٠).

(٤) أخرجه البخاري (١٤٠٦).

تيمية رحمه الله: وَقَدْ طَعَنَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي نَفْيِهِ، وَقَالُوا: هُوَ ذَهَبَ بِاخْتِيَارِهِ. وَقِصَّةُ نَفْيِ الْحَكَمِ لَيْسَتْ فِي الصِّحَاحِ، وَلَا لَهَا إِسْنَادٌ يُعْرَفُ بِهِ أَمْرُهَا(١).

لما أثيرت هذه الأمور حوصر عثمان في داره فجاء الصحابة ليدافعوا عنه فأبى رضي الله عنه وقَالَ: أَعْزِمُ عَلَى مَنْ كَانَ لَنَا عَلَيْهِ سَمْعٌ وَطَاعَةٌ لَمَا كَفَّ يَدَهُ وَسِلاَحَهُ، فَإِنَّ أَعْظَمَكُمْ عِنْدِي غَنَاءً الْيَوْمَ مَنْ كَفَّ يَدَهُ وَسِلاَحَهُ(٢).

قَالَ كَعْبُ بْنُ مُرَّةَ الْبَهْزِيُّ رضي الله عنه: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ مَرَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ مُرَجِّلاً قَالَ: ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَتَخْرُجَنَّ فِتْنَةٌ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ، أَوْ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْ هَذَا، يَوْمَئِذٍ وَمَنِ اتَّبَعَهُ عَلَى الْهُدَى "(٣).

ليجتمع عليه الناس ويقتلوه ليلقى الله شهيدا بعد خلافة راشدة فتح الله بها على يديه البلاد وعم فيه الخير ، فرضي الله عن عثمان وعن سائر الصحابة أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

(١) منهاج السنة النبوية (٦/ ٢٦٥).

(٢) تاريخ المدينة لابن شبة (٤/ ١٢٠٨).

(٣) أخرجه أحمد (١٨٠٦٧)، وصححه الألباني في الصحيحة(٣١١٩).

وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا

الكلام مسطور ومحفوظ عوِّد لسانك على الخير من أحق الناس بحسن القول

إن من أجل النعم التي أنعم الله بها على الإنسان هي نعمة الإفصاح والبيان فقال سبحانه: {الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} [الرحمن: ١ - ٤]

فالبيان: هو الإعراب عما في الضمير من المقاصد والأغراض وهو النطق، وبه تميز الإنسان عن بقية أنواع الحيوان فهو من أعظم النعم، وأجلها وأكبرها عليه(١).

ولقد خلق الله للبيان آلة وهي اللسان به ينطق ويتخاطب مع أبناء جنسه، فمن استعمل لسانه في القول النافع وقضاء الحوائج وقيده بلجام الشرع، فقد أقر بالنعمة وأدى شكرها، ومن أطلق لسانه وأهمله، سلك به الشيطان كل طريق شر وسوء حتي يكبَّه في النار على مناخِره، كما قال النبيﷺ: "وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ"(٢).

فلسان المرء سلاح ذو حدين إما أن يستعمله في ما يرضي الله وما طاب من الأقوال فيغرس شجرة تؤتي ثمارها كل حين بإذن ربها، وإما أن يستعمله فيما يورث سَخطَ الله فيكون سبب في هلاكه ودخوله النار. ولقد أحسن من قال:

لسان الفتى حتف الفتى حين يجهلُ وكلّ امرئ ما بين فكَّيه مَقتَلُ
وكم فاتحٍ أبواب شرٍّ لنفسه إذا لم يكن قفلٌ على فِيهِ مُقفَلُ

---

(١) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧/ ٢٣٣)، وتفسير السعدي (ص: ٨٢٨).

(٢) أخرجه الترمذي(٢٦١٦) من حديث معاذ بن جبل، وصححه الألباني في الصحيحة(١١٢٢).

إذا ما لسان المرء أكثر هَذْرَهُ ... فذاك لسانٌ بالبلاءِ مُوَكَّلُ
إذا شئت أن تحيا سعيداً مُسَلَّماً ... فدبّر وميّز ما تقولُ وتَفعَلُ[1].

الكلام مسطور ومحفوظ:

لقد أخبر ربنا تبارك وتعالى أن على الناس ملائكة يحفظونَ عليهم أعمالَهم ويلازمونَهم أينَما كانُوا، ويكتبونَ كلَّ ما صدرَ عنهُم من الأفعال والأقوال فقال سبحانه: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} [الزخرف: ٨٠]

وقال تعالى: {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: ١٨]

{ما يلفظ} أي: ابن آدم {من قول} أي: ما ينطق بنطق ولا يتكلم بكلمة {إلا لديه رقيب عتيد} أي: ملكًا مراقبًا لأعماله حافظًا لها شاهدًا عليها لا يفوته منها شيء.

عتيد: أي حاضر ليس بغائب يكتب عليه ما يقول من خير وشر، كما قال تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)}[الانفطار: ١٠ - ١٢](٢).

قال ابن بطال: ما أحق من علم أن عليه حفظةً موكلين به، يحصون عليه سقط كلامه وعثرات لسانه، أن يحزنَه ويُقلَ كلامه فيما لا يعنيه(٣).

فينبغي على المرء أن يحفظ لسانه وأن ينتقي كلامه وألا يتكلم إلا بالخير، فربَّ كلمة لا ترضي الله تُوبِقُ على المرء دنياه وآخرته، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة لأبي علي التنوخي(٧/ ١٠٣).
(٢) انظر تفسير ابن كثير(٧/ ٣٩٨)، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي(٧/ ٤٢٧).
(٣) شرح صحيح البخارى لابن بطال (١٠/ ١٨٥).

ﷺ يقولُ: ((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ))(١).

قال النووي: "ومعناه لا يتدبرها ويفكر فى قبحها ولا يخاف ما يترتب عليها، وفي هذا كله حث على حفظ اللسان فينبغي لمن أراد النطق بكلمة أو كلام أن يتدبره في نفسه قبل نطقه فإن ظهرت مصلحته تكلم وإلا أمسك"(٢).

وقال ابن القيم: "وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَهُونُ عَلَيْهِ التَّحَفُّظُ وَالِاحْتِرَازُ مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ وَالظُّلْمِ وَالزِّنَى وَالسَّرِقَةِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَمِنَ النَّظَرِ الْمُحَرَّمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيَصْعُبُ عَلَيْهِ التَّحَفُّظُ مِنْ حَرَكَةِ لِسَانِهِ، حَتَّى تَرَى الرَّجُلَ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالدِّينِ وَالزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَاتِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَنْزِلُ بِالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْهَا أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَكَمْ تَرَى مِنْ رَجُلٍ مُتَوَرِّعٍ عَنِ الْفَوَاحِشِ وَالظُّلْمِ، وَلِسَانُهُ يَفْرِي فِي أَعْرَاضِ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، وَلَا يُبَالِي مَا يَقُولُ"(٣).

عوِّد لسانك على الخير:

عَن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟ قَالَ: ((مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ))(٤). فلم يقل النبي ﷺ إن خير المسلمين من قام الليل أو صام النهار أو من حج أو اعتمر، بل ترك كل هذه الفضائل مع حسنها وقال: " خير المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده"، فإن سلامة

---

(١) أخرجه البخاري(٦٤٧٧) ومسلم(٧٥٩١) واللفظ لمسلم.

(٢) شرح النووي على مسلم (١٨/ ١١٧).

(٣) الداء والدواء، لابن القيم (ص: ١٥٩).

(٤) أخرجه مسلم(٧٠).

المسلمين من لسان العبد ويده واجبة، وإن أذى المسلم حرام باللسان وباليد، فأذى اليد: الفعل، وأذى اللسان القول. ومَنْ كانتْ هذه حالُهُ، كان أحقَّ بهذا الاسمِ، وأمكنَهُمْ فيه. ومَنْ كان كذلك، فهو المسلمُ الكامل، والمتَّقي الفاضل(١).

وقد أمرنا ربنا تبارك وتعالى بحسن القول في غير موضع من كتابه فقال سبحانه: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} [البقرة: ٨٣]

و "الحُسن" هو الاسم العام الجامع لجميع معاني الحسن(٢). فثبت أن جميع آداب الدين والدنيا داخلةً تحت قوله تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا }(٣).

وقال سبحانه: {وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ}[الحج: ٢٤]

ومعناه أن الله يرشدهم إلى أقوال، أي يلهمهم أقوالًا حسنة يقولونها بينهم(٤). فالكلمة الطيبة والقول الحسن هداية الله وفضله لعباده.

وقال عز وجل: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا } [الإسراء: ٥٣]

قال السعدي: "وهذا من لطفه بعباده حيث أمرهم بأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال الموجبة للسعادة في الدنيا والآخرة فقال: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} وهذا أمر بكل كلام يقرب إلى الله من قراءة وذكر وعلم وأمر بمعروف ونهي عن منكر وكلام حسن لطيف مع الخلق على اختلاف مراتبهم ومنازلهم، وأنه إذا دار

---

(١) انظر فتح الباري لابن رجب (١/ ٣٧)، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي(١/ ١٣٩).
(٢) تفسير الطبري (٢/ ٢٩٥).
(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي (٣/ ٥٨٩).
(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٧/ ٢٣٤).

الأمر بين أمرين حسنين فإنه يأمر بإيثار أحسنهما إن لم يمكن الجمع بينهما. والقول الحسن داع لكل خلق جميل وعمل صالح فإن من ملك لسانه ملك جميع أمره"(١).

فالقول الحسن والكلمة الطيبة وقاية من النار كما أخبر بذلك النبيﷺ: ((فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ))(٢). وخير كلمة وأحسن قول هي كلمة التوحيد كما قال النبيﷺ: ((خَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))(٣). فما من أحد أحسن قولًا ممن دعا إلي توحيد الله وعبادته كما قال سبحانه: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } [فصلت: **٣٣**]

قال السعدي: "هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولا. أي: كلامًا وطريقة، وحالة {مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ} بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها، والحث عليها"(٤).

ومن ذلك:

- مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَليقل لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ "(٥).
- ومن عاد مريضًا فليدع له وليقل: "لاَ بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ"(١).

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٢٣)، مسلم(٢٣١٢).

(٣) أخرجه الترمذي(٣٥٨٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٢٧٤).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٧٤٩).

(٥) وهو حديث أخرجه الترمذي(٣٥٨٥) عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٧٤).

• وإن أصابه كرب أو ابتلي ببلية فليحمد الله وليقل: "لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ"(٢).

وفي السنة أمثلة كثيرة على ذلك.

من أحق الناس بحسن القول:

إن القول الحسن والكلام الطيب شعار لقائلهما ودليل على طيب نفسه، فقد تستطيع بقولك الحسن أن تحول العدو بإذن الله إلي صديق وتقلب الضغائن التي في القلوب إلي محبة ومودة. وكم من مُشكلات حُلَّت، وكم من صِلات قَويَت، وكم من خُصُومات زالت بكلمة طيبة.

وأحق الناس بحُسنِ المَنطِقِ هُم:

١-الوالدان:

فهما وصية الرحمن كما قال: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا } [العنكبوت: ٨]

وقال: {وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا } [الإسراء: ٢٣] أي: وقل لهما قولًا جميلاً حسنًا ليِّنًا سهلاً من أحسن ما تجد من القول(٣).

ومن العجيب أن ترى بعض الشباب والفتيات يتعاملون مع آبائهم معاملة فظة فيرفعون أصواتهم وينهرونهم ويسيئون إليهم ويؤذونهم بمنطقهم السيئ حتى لو أن إنسانًا رآهم ولم يكن يعلم أن هذا هو الوالد أو أن هذه هي الأم لظن أنهما خادمان يعملان لدى

(١) وهو حديث أخرجه البخاري(٣٦١٦)عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) وهو حديث أخرجه البخاري(٦٣٤٥)، ومسلم(٧٠٢١) عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) وانظر تفسير الطبري (١٧/ ٤١٧).

الأبناء من شدة غلظة وقسوة الألفاظ التي يستخدمها بعض الأبناء مع الوالدين.

٢-القرابات:

وإنما سميت القرابات بهذا الاسم لتقاربهم وتلاصقهم بعضهم ببعض، وهم أصول الرجل وأرحامه، فمن وصلهم وصله الله، وبارك له في رزقه، ووسَّع له في عيشه، كما أخبر بذلك النبيﷺ بقوله: ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))(١). فقرابة المرء هم أولى الناس بحسن القول والمعاملة.

٣-العلماء:

فهم ورثة الأنبياء كما أخبر بذلك الصادقﷺ الذي لا ينطق عن الهوى بقوله: ((إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ))(٢). **قال ابن جماعة الكناني**: "وحسبك هذه الدرجة مجدًا وفخرًا وبهذه الرتبة شرفًا وذكرًا، فكما لا رتبة فوق النبوة فلا شرف فوق شرف وارث تلك الرتبة"(٣). ولهذه المنزلة ينبغي المرء أن يحسن القول مع أهل العلم، وأن يتلطف في سؤاله إليهم.

٤-الزوجان:

لقد أخبر ربنا تبارك وتعالى في كتابه عن الأساس الذي تبنى عليه البيوت فقال: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }[الروم: ٢١] فيحتاج كلاً من الزوجين لاختيار أفضل الألفاظ

---

(١) أخرجه البخاري(٦٦١٦)من حديث أنسرضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي(٢٦٨٢)من حديث أبي الدرداءرضي الله عنه، وحسنه الألباني في المشكاة(٢١٢).

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة(ص: ١٨).

وأحسنها للتخاطب في ما بينهم وإبداء مشاعر الحب والمودة والرحمة، وإنَّ في هدي نبينا ﷺ خيرَ مثال على ذلك وأفضلَ دليل، فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى)) قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: " أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكِ تَقُولِينَ: لاَ وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى، قُلْتِ: لاَ وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ " قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ[1].

هكذا كان النبي ﷺ يعامل أهله فلنقتدي به فإن لنا فيه أسوة، كما قال سبحانه: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب: ٢١].

٥-غير المسلمين:

إن الله عز وجل أمر بالإحسان إلى الناس عمومًا فقال: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}، فظاهر هذه الآية يدل على العموم كما قال عطاء بن أبي رباح أي: "للناس كلهم"[2].

ومن القول الحسن أمرُهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم العلم، وبذل السلام، والبشاشة وغير ذلك من كل كلام طيب. ولما كان الإنسان لا يسع الناس بماله، أمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول، فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار[3]. ولله در القائل:

أحسن إلى الناس تَستَعبِدْ قُلُوبَهم ... فَطَالَمَا استعبدَ الإنسانَ إحسانُ

وكن على الدهر معوانا لذي أمل ... يرجو نداك فإن الحر معوانُ

---

(١) أخرجه البخاري(٥٢٢٨)، ومسلم(٦٣٦٦).

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٢٩٧).

(٣) وانظر موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية (١/ ٥٩).

من كان للخير منّاعًا فليس له عند الحقيقة إخوانٌ وأخدانُ [١].

وقَالَ أَحْمد بن الخصيب للمُنتصِر: يَا أميرَ الْمُؤمنِينَ: أحسنْ إِلَى النَّاس يُحبُّوكَ، وأفْشِ فيهْم العدْل يحمدوك، وَلَا تُطْلِق لغيرْك عَلَيْهِم لِساناً وَلَا بدا فيَذمُّوك[٢].

والحمد لله رب العالمين

(١) حياة الحيوان الكبرى لأبي البقاء الدميري(١/ ٢٥٠).

(٢)نثر الدر في المحاضرات لأبي سعد الآبي (٥/ ٨٣).

ملف العدد

من خصائص أهل السنة والجماعة

٢ ـ توحيد مصدر التلقي { الاقتصار في التلقي على الكتاب والسنة }

قال ابن تيمية رحمه الله: هم أهل الكتاب والسنة؛ لأنهم يؤثِرون كلامَ الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدِّمون هدْيَ محمدٍ ﷺ على هدي كلِّ أحدٍ، ويتَّبعون آثاره ﷺ باطنًا وظاهرًا. (١)

فأهل السُّنة سُمُّوا بهذا الاسم لأنهم يؤمنون بجميع نصوص الكتاب والسنة الصحيحة، فالحُجَّة عندهم في كلام الله تعالى، وفيما صح من سنة النبي ﷺ ويعتقدون أنهما يكفيان لجميع متطلبات الحياة في جميع شؤونها وجوانبها إلى قيام الساعة.

*** وهنا أصلٌ مهمٌ ألا وهو:**

أنَّ الذي خلقَ الخلقَ سبحانه هو الذي يعلم ما يُصلحهم ويُسعدهم في دنياهم وأخراهم، لذلك اختار الله سبحانه لعباده منهجاً واضحاً سهلاً، يتناسب مع كلِّ زمان ومع كلِّ مكان، ويتناسب مع كل البشر مع اختلاف طبائعهم وتفاوت عقولهم، فأنزل الله سبحانه خير كتاب على خير نبيٍّ ﷺ، وأمر الله رسوله ﷺ أن يبيِّن ويوضح لأمته ما أُجمل في كتابه، فبيَّن ﷺ لأمته أوضح بيان وأتمه وأشمله، حتى تركنا على مثل البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك

الآيات الدالة على هذا الأصل: قال تعالى{ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣)

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٧)

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: ١٢٣، ١٢٤]

وقال تعالى{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ } [الأنفال: ٢٤] أَيْ: لِمَا يَهْدِيكُمْ وَيُصْلِحُكُمُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ لِمَا يُحْيِيكُمْ، قَالَ: هُوَ هَذَا القرآن فيه النجاة والبقاء وَالْحَيَاةُ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: لِمَا يُحْيِيكُمْ فَفِي الْإِسْلَامِ إِحْيَاؤُهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ بِالْكُفْرِ.

فإن حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى ولزوم طاعته وطاعة رسوله على الدوام. (١)

وقال تعالى: { لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} [الأنبياء: ١٠]

قال السعدي رحمه الله: أي: شرفكم وفخركم وارتفاعكم، إن تذكرتم به ما فيه من الأخبار الصادقة فاعتقدتموها، وامتثلتم ما فيه من الأوامر، واجتنبتم ما فيه من النواهي، ارتفع قدركم، وعظم أمركم،. . . وهذه الآية، مصداقها ما وقع، فإن المؤمنين بالرسول، الذين تذكروا بالقرآن، من الصحابة، فمن بعدهم، حصل لهم من الرفعة والعلو الباهر، والصيت العظيم، والشرف على الملوك، ما هو أمر معلوم لكل أحد، كما أنه معلوم ما حصل، لمن لم يرفع بهذا القرآن رأسا، ولم يهتد به ويتزك به، من المقت والضعة، والتدسية، والشقاوة، فلا سبيل إلى سعادة الدنيا والآخرة إلا بالتذكر بهذا الكتاب. (٢)

وقال تعالى: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [العنكبوت: ٥١] والنصوص كثيرة في المعنى.

---

(١) راجع فتح الباري لابن حجر (٨/ ٣٠٨) وتفسير السعدي (ص: ٣١٨)

(٢) تفسير السعدي (ص: ٥١٩)

- **وكما أنَّ لله وحده الخلق والتدبير، فله جل وعلا الأمر كله**: {أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: ٥٤].

وقد حذَّر سبحانه من التلقي عن غير هذا المصدر فقال تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} [الشورى: ٢١].

فأهل السنة لا يتلقون أمور دينهم إلا عن مشكاة النبوة، لا عقل ولا ذوق ولا كشف، بل هذه إن صحت كانت معضدة لحجة السمع (الكتاب والسنة) فكيف بمن عارض بها دلائل الكتاب والسنة، وأكثرها جهالات وخيالات فاسدة. وبهذا نفهم كيف أن الرسول ﷺ أنكر على عمر بن الخطاب رضي الله عنه النظر في صحيفة من التوراة، وهو الكتاب المنزل من السماء، وإن شابَهُ التحريف فهو أفضل من كثير من الأقيسة العقلية، والخيالات الصوفية، **عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ** رضي الله عنهما، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيُّ ﷺ فَغَضِبَ وَقَالَ: ((أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلاَّ أَنْ يَتَّبِعَنِي)). (١)

فأهل السنة ينهلون من هذا المنهل العذب عقائدَهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، وسلوكَهم، وأخلاقهم، فكلُّ ما وافقَ الكتاب والسنة قبلوه وأثبتوه، وكل ما خالفهما ردوه على قائله كائناً من كان.

بعض أقوال السلف في تثبيت هذا الأصل

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٨٧) وحسَّنَه الألباني في إرواء الغليل (٦/ ٣٤)

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلاَهُ. (١)

وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنَّمَا هُوَ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَنْ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ بِرَأْيِهِ فَلاَ أَدْرِي أَفِي حَسَنَاتِهِ يَجِدُ ذَلِكَ أَمْ فِي سَيِّئَاتِهِ. (٢)

وعَنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهُ: أَنْتَ عَلَى مِلَّةِ عَلِيٍّ؟ قَالَ: لَا، وَلَا عَلَى مِلَّةِ عُثْمَانَ، وَلَكِنِّي عَلَى مِلَّةِ النَّبِيِّ ﷺ. (٣)

وعَنْ سُفْيَانَ الثوري، قَالَ: إِنَّمَا الدِّينُ بِالْآثَارِ. (٤)

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وإنما المُتَّبع في إثبات أحكام الله، كتابُ الله وسنةُ رسوله ﷺ، وسبيل السابقين أو الأولين، لا يجوز إثبات حكم شرعي بدون هذه الأصول الثلاثة، نصا واستنباطا بحال. (٥)

وقال وهو يتكلم عن منهج أهل السنة: وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلاَمِ كَلاَمُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَيُؤْثِرُونَ كَلاَمَ اللَّهِ عَلَى كَلاَمِ غَيْرِهِ مِنْ كَلاَمِ أَصْنَافِ النَّاسِ وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ وَبِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. (٦)

---

(١) سنن أبي داود (١/ ١١٧).

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٣٥٤). ٢٣٧

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٠٥)

(٤) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٤٩)

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٠٧)

(٦) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٧)

قال مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْأَخْبَارِيُّ قَالَ: أنشدنا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، عَنْ أَبِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

دِينُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ أَخْبَارٌ. . . نِعْمَ الْمَطِيَّةُ لِلْفَتَى الْآثَارُ

لَا تَرْغَبَنَّ عَنِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ. . . فَالرَّأْيُ لَيْلٌ وَالْحَدِيثُ نَهَارُ

وَلَرُبَّمَا جَهِلَ الْفَتَى أَثَرَ الْهُدَى. . . وَالشَّمْسُ بَازِغَةٌ لَهَا أَنْوَارُ (١)

قال الإمام البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ: واعلم أنه من قال في دين الله برأيه وقياسه وتأوله من غير حجة من السنة والجماعة فقد قال على الله ما لا يعلم، ومن قال على الله مالا يعلم فهو من المتكلفين، والحق ما جاء من عند الله عز و جل، والسنة ما سنه رسول الله ﷺ، والجماعة ما اجتمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، ومن اقتصر على سنة رسول الله ﷺ وما كان عليه الجماعة فلج {ظفر وفاز} على أهل البدعة كلهم واستراح بدنه وسلم له دينه إن شاء الله لأن رسول الله ﷺ قال ((ستفترق أمتي)) وبين لنا رسول الله ﷺ الفرقة الناجية منها فقال ما أنا عليه وأصحابي فهذا هو الشفاء والبيان والأمر الواضح والمنار المستقيم. (٢)

وقد تمثلت هذه القاعدة في عدة ركائز:

أ- اعتقاد كمال هذا الدين وشموله، فلا يحتاج معه إلى غيره من مناهج البشر؛ يقول الله تعالى { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } [المائدة: ٣].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٧٨٢)

(٢) شرح السنة للبربهاري (ص: ٤٥)

وقال تعالى: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣]

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: ومِثلُ هذا في القرآن كثيرٌ، مما يبيِّن الله فيه أن كتابَه مبينٌ للدِّين كله، موضحٌ لسبيل الهدى، كافٍ لمن اتبعه، لا يحتاج معه إلى غيره، يجب اتِّباعُه دون اتباع غيره من السُّبل. (١)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الشَّرِيعَةَ مَبْنَاهَا وَأَسَاسُهَا عَلَى الْحِكَمِ وَمَصَالِحِ الْعِبَادِ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، وَهِيَ عَدْلٌ كُلُّهَا، وَرَحْمَةٌ كُلُّهَا، وَمَصَالِحُ كُلُّهَا، وَحِكْمَةٌ كُلُّهَا؛ فَكُلُّ مَسْأَلَةٍ خَرَجَتْ عَنْ الْعَدْلِ إلَى الْجَوْرِ، وَعَنْ الرَّحْمَةِ إلَى ضِدِّهَا، وَعَنْ الْمَصْلَحَةِ إلَى الْمَفْسَدَةِ، وَعَنْ الْحِكْمَةِ إلَى الْبَعْثِ؛ فَلَيْسَتْ مِنْ الشَّرِيعَةِ وَإِنْ أُدْخِلَتْ فِيهَا بِالتَّأْوِيلِ. (٢)

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أيضا: فَرِسَالَتُهُ ﷺ كَافِيَةٌ شَافِيَةٌ عَامَّةٌ، لَا تُحْوِجُ إلَى سِوَاهَا، وَلَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ بِهِ إلَّا بِإِثْبَاتِ عُمُومِ رِسَالَتِهِ، فَلَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْ الْمُكَلَّفِينَ عَنْ رِسَالَتِهِ، وَلَا يَخْرُجُ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَقِّ الَّذِي تَحْتَاجُ إلَيْهِ الْأُمَّةُ فِي عُلُومِهَا وَأَعْمَالِهَا عَمَّا جَاءَ بِهِ.

وَقَدْ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إلَّا ذَكَرَ لِلْأُمَّةِ مِنْهُ عِلْمًا، وَعَلَّمَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى آدَابَ التَّخَلِّي وَآدَابَ الْجِمَاعِ وَالنَّوْمِ وَالْقِيَامِ وَالْقُعُودِ، وَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ،. . . . . وَجَمِيعِ أَحْكَامِ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ. . . . . وَعَرَّفَهُمْ مَعْبُودَهُمْ وَإِلَهَهُمْ أَتَمَّ تَعْرِيفٍ حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ وَيُشَاهِدُونَهُ بِأَوْصَافِ كَمَالِهِ وَنُعُوتِ جَلَالِهِ، وَعَرَّفَهُمْ الْأَنْبِيَاءَ وَأُمَمَهُمْ وَمَا جَرَى لَهُمْ، وَمَا جَرَى عَلَيْهِمْ مَعَهُمْ حَتَّى كَأَنَّهُمْ كَانُوا بَيْنَهُمْ، وَعَرَّفَهُمْ مِنْ طُرُقِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ دَقِيقَهَا وَجَلِيلَهَا مَا لَمْ يُعَرِّفْهُ نَبِيٌّ لِأُمَّتِهِ قَبْلَهُ، وَعَرَّفَهُمْ ﷺ مِنْ

(١) درء تعارض العقل والنقل (١٠/ ٣٠٤)

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/ ١١)

أَحْوَالِ الْمَوْتِ وَمَا يَكُونُ بَعْدَهُ فِي الْبَرْزَخِ وَمَا يَحْصُلُ فِيهِ مِنْ النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ لِلرُّوحِ وَالْبَدَنِ مَا لَمْ يُعَرِّفْ بِهِ نَبِيٌّ غَيْرُهُ، وَكَذَلِكَ عَرَّفَهُمْ ﷺ مِنْ أَدِلَّةِ التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ وَالرَّدِّ عَلَى جَمِيعِ فِرَقِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالضَّلاَلِ مَا لَيْسَ لِمَنْ عَرَفَهُ حَاجَةٌ مِنْ بَعْدِهِ،. . . . .

وَكَذَلِكَ عَرَّفَهُمْ ﷺ مِنْ مَكَايِدِ الْحُرُوبِ وَلِقَاءِ الْعَدُوِّ وَطُرُقِ النَّصْرِ وَالظُّفْرِ مَا لَوْ عَلِمُوهُ وَعَقَلُوهُ وَرَعَوْهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ لَمْ يَقُمْ لَهُمْ عَدُوٌّ أَبَدًا

وَكَذَلِكَ عَرَّفَهُمْ ﷺ مِنْ مَكَايِدِ إبْلِيسَ وَطُرُقِهِ الَّتِي يَأْتِيهِمْ مِنْهَا وَمَا يَتَحَرَّزُونَ بِهِ مِنْ كَيْدِهِ وَمَكْرِهِ وَمَا يَدْفَعُونَ بِهِ شَرَّهُ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ

وَكَذَلِكَ عَرَّفَهُمْ ﷺ مِنْ أَحْوَالِ نُفُوسِهِمْ وَأَوْصَافِهَا وَدَسَائِسِهَا وَكَمَائِنِهَا مَا لَا حَاجَةَ لَهُمْ مَعَهُ إلَى سِوَاهُ

وَكَذَلِكَ عَرَّفَهُمْ ﷺ مِنْ أُمُورِ مَعَايِشِهِمْ مَا لَوْ عَلِمُوهُ وَعَمِلُوهُ لَاسْتَقَامَتْ لَهُمْ دُنْيَاهُمْ أَعْظَمَ اسْتِقَامَةٍ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَجَاءَهُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِرُمَّتِهِ، وَلَمْ يُخْوِجْهُمْ اللَّهُ إلَى أَحَدٍ سِوَاهُ. (١)

ب - الاعتقاد الجازم أنه لا يتحقَّق رضا الله، والفوزُ بجنته، والنجاةُ من عذابه، إلا بالإيمان بنصوص الكتاب والسنة، والعمل بما جاءا به، وما يترتَّب على هذا من وجوب أن يعيش المسلم حياته كلها - اعتقادًا، وعملاً، وسلوكًا - مستمسكًا ومعتصمًا بهما، لا يزيغ عنهما، ولا يتعدَّى حدودهما، ومن لوازم هذا أن يتحاكم إليهما عند التنازع والاختلاف، فنصوصُ الكتاب والسنة هي الأصل والميزان والحَكَم عند النزاع، وبها تُوزَن الأقوال والآراء؛ كما قال - تعالى -: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ٢٨٥)

الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً } [النساء: ٥٩].

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: فَدِينُ الْمُسْلِمِينَ مَبْنِيٌّ عَلَى اتِّبَاعِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَمَا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ هِيَ أُصُولٌ مَعْصُومَةٌ وَمَا تَنَازَعَتْ فِيهِ الْأُمَّةُ رَدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ. (١)

ج - وجوب تقديم الشرع على العقل عند توهُّم التعارض، وإلا ففي الحقيقة والواقع لا يمكن أن يتعارض النقلُ الصحيح مع العقل الصريح.

قَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [يونس: ٥٧]

يقول ابن القيم في سياق الإنكار على مَن جعلوا العقل طاغوتا يُعبد، وجعلوا نصوص الشرع مجرد ظواهر لفظية لا يُستفاد منها اليقين: وكَيْفَ يَشْفِي مَا فِي الصُّدُورِ كِتَابٌ لَا يَفِي هُوَ وَمَا تُبَيِّنُهُ السُّنَّةُ بِعُشْرِ مِعْشَارِ الشَّرِيعَةِ؟ أَمْ كَيْفَ يَشْفِي مَا فِي الصُّدُورِ كِتَابٌ لَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ الْيَقِينُ فِي مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مَسَائِلِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ؟ أَوْ عَامَّتُهَا ظَوَاهِرُ لَفْظِيَّةٍ دَلَالَتُهَا مَوْقُوفَةٌ عَلَى انْتِفَاءِ عَشَرَةِ أُمُورٍ لَا يُعْلَمُ انْتِفَاؤُهَا، سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ، وَيَا لِلَّهِ الْعَجَبُ، كَيْفَ كَانَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ قَبْلَ وَضْعِ هَذِهِ الْقَوَانِينِ الَّتِي أَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهَا مِنْ الْقَوَاعِدِ، وَقَبْلَ اسْتِخْرَاجِ هَذِهِ الْآرَاءِ وَالْمَقَايِيسِ وَالْأَوْضَاعِ؟ أَهَلْ كَانُوا مُهْتَدِينَ. (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٦٤)

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ٢٨٦)

والعقول وحدها لا تستقل بمعرفة الحق من الباطل ولا الهدى من الضلال، قال السفاريني رحمه الله: الْعُقُولُ لَوْ كَانَتْ مُسْتَقِلَّةً بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَأَحْكَامِهِ، لَكَانَتِ الْحُجَّةُ قَائِمَةً عَلَى النَّاسِ قَبْلَ بَعْثِ الرُّسُلِ وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ، وَاللاَّزِمُ بَاطِلٌ بِالنَّصِّ، قَالَ تَعَالَى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا}. وَقَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى}. فَكَذَا الْمَلْزُومُ. (١)

فلا يجوز لأحد كائنا مَن كان أن يعارض النقل برأيه المجرد، قال شيخ الإسلام رحمه الله: مِنْ الْأُصُولِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ أَنَّهُ لَا يُقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ قَطُّ أَنْ يُعَارِضَ الْقُرْآنَ لَا بِرَأْيِهِ وَلَا ذَوْقِهِ وَلَا مَعْقُولِهِ وَلَا قِيَاسِهِ وَلَا وَجْدِهِ فَإِنَّهُمْ ثَبَتَ عَنْهُمْ بِالْبَرَاهِينِ الْقَطْعِيَّاتِ وَالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ أَنَّ الرَّسُولَ جَاءَ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ. . . . وَلِهَذَا لَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ أَحَدٍ مِنْ السَّلَفِ أَنَّهُ عَارَضَ الْقُرْآنَ بِعَقْلِ وَرَأْيٍ وَقِيَاسٍ وَلَا بِذَوْقِ وَوَجْدٍ وَمُكَاشَفَةٍ وَلَا قَالَ قَطُّ: قَدْ تَعَارَضَ فِي هَذَا الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ فَضْلاً عَنْ أَنْ يَقُولَ: فَيَجِبُ تَقْدِيمُ الْعَقْلِ؟!. . . . . وَلَمْ يَكُنْ السَّلَفُ يَقْبَلُونَ مُعَارَضَةَ الْآيَةِ إلَّا بِآيَةِ أُخْرَى تُفَسِّرُهَا وَتَنْسَخُهَا؛ أَوْ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ تُفَسِّرُهَا. (٢)

ومع ذلك فالنقل الصحيح لا يصطدم مع العقل السليم، قال شيخ الإسلام رحمه الله: وَالْأَنْبِيَاءُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ - مَعْصُومُونَ، لَا يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ إلَّا الْحَقَّ، وَلَا يَنْقُلُونَ عَنْهُ إلَّا الصِّدْقَ. فَمَنِ ادَّعَى فِي أَخْبَارِهِمْ مَا يُنَاقِضُ صَرِيحَ الْمَعْقُولِ، كَانَ كَاذِبًا، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْمَعْقُولُ لَيْسَ بِصَرِيحٍ، أَوْ ذَلِكَ الْمَنْقُولُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ. فَمَا عُلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ أَخْبَرُوا بِهِ، يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ فِي الْعَقْلِ مَا يُنَاقِضُهُ.

---

(١) لوامع الأنوار البهية (١/ ١٠٥)

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٨)

وَمَا عُلِمَ يَقِينًا أَنَّ الْعَقْلَ حَكَمَ بِهِ، يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ فِي أَخْبَارِهِمْ مَا يُنَاقِضُهُ. . . بَلِ الْأَنْبِيَاءُ - عَلَيْهِمْ السَّلَامُ - قَدْ يُخْبِرُونَ بِمَا يَعْجِزُ الْعَقْلُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، لَا بِمَا يَعْلَمُ الْعَقْلُ بُطْلَانَهُ، فَيُخْبِرُونَ بِمُحَارَاتِ الْعُقُولِ لَا بِمُحَالَاتِ الْعُقُولِ. (١)

ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أيضا: إن الأدلة العقلية الصريحة تُوافِق ما جاءتْ به الرسلُ، وإن صريح المعقول لا يناقض صحيحَ المنقول، وإنما يقع التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه، وما يدخل في العقل وليس منه. (٢)

وَهَذَا قَالَ الزُّهْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مِنَ اللَّهِ الْبَيَانُ، وَعَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ. (٣)

د- الأدب مع نصوص الكتاب والسنة

وذلك بأن تُراعى ألفاظها عند بيان العقيدة، وألاَّ تستخدم الألفاظ والمصطلحات الموهمة غير الشرعية، **يقول ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: إن السلف كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث، فيما يثبتونه وينفونه في الله وصفاته وأفعاله، فلا يأتون بلفظ محدَثٍ مبتدَع في النفي والإثبات؛ بل كل معنى صحيح فإنه داخل فيما أخبر به الرسول. (٤)

وكذلك لا ينبغي أن يُجنى على النصوص بالتأويل الفاسد الذي هو سبب لكل مصيبة، قال ابن أبي العز الحنفي وهو يتكلم عن مفاسد التأويل الباطل: وَكَمْ جَنَى التَّأْوِيلُ الْفَاسِدُ عَلَى الدِّينِ وَأَهْلِهِ مِنْ جِنَايَةٍ. فَهَلْ قُتِلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَّا بِالتَّأْوِيلِ الْفَاسِدِ! وَكَذَا مَا جَرَى فِي يَوْمِ الْجَمَلِ، وَصِفِّينَ، وَمَقْتَلِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالْحَرَّةِ؟ وَهَلْ

---

(١) الجواب الصحيح (٤/ ٤٠٠)

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٣٦٤)

(٣) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٩٨)

(٤) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٣٢)

خَرَجَتِ الْخَوَارِجُ، وَاعْتَزَلَتِ الْمُعْتَزِلَةُ، وَرَفَضَتِ الرَّوَافِضُ، وَافْتَرَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، إِلَّا بِالتَّأْوِيلِ الْفَاسِدِ؟!. (١)

ثمرات توحيد مصدر التلقي

١ - سبب اتفاق المواقف والآراء والقلوب

قَالَ أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمِمَّا يَدُلُّ أَنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ عَلَى الْحَقِّ أَنَّكَ لَوْ طَلَعْتَ جَمِيعَ كُتُبِهِمُ الْمُصَنَّفَةِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا، وَجَدْتَهَا مَعَ اخْتِلاَفِ بُلْدَانِهِمْ وَزَمَانِهِمْ وَتَبَاعُدِ مَا بَيْنَهُمْ فِي الدِّيَارِ، وَسُكُونِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قُطْرًا مِنَ الْأَقْطَارِ فِي بَابِ الِاعْتِقَادِ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ، وَنَمَطٍ وَاحِدٍ، يَجْرُونَ فِيهِ عَلَى طَرِيقَةٍ لَا يَحِيدُونَ عَنْهُ وَلَا يَمِيلُونَ عَنْهَا، قُلُوبُهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى قَلْبٍ وَاحِدٍ، وَنَقْلُهُمْ لَا تَرَى فِيهِ اخْتِلاَفًا وَلَا تَفَرُّقًا فِي شَيْءٍ مَا، وَإِنْ قَلَّ، بَلْ لَوْ جَمَعْتَ جَمِيعَ مَا جَرَى عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَنَقَلُوهُ عَنْ سَلَفِهِمْ وَجَدْتَهُ كَأَنَّهُ جَاءَ عَنْ قَلْبٍ وَاحِدٍ وَجَرَى عَلَى لِسَانٍ وَاحِدٍ، وَهَلْ عَلَى الْحَقِّ دَلِيلٌ أَبْيَنُ مِنْ هَذَا؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا} [النساء: ٨٢]

وَقَالَ تَعَالَى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا}. . . . . والسَّبَبُ فِي اتِّفَاقِ أَهْلِ الْحَدِيثِ أَنَّهُمْ أَخَذُوا الدِّينَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَطَرِيقِ النَّقْلِ، فَأَوْرَثَهُمُ الِاتِّفَاقَ وَالِائْتِلاَفَ، وَأَهْلُ الْبِدَعِ أَخَذُوا الدِّينَ مِنْ عُقُولِهِمْ فَأَوْرَثَهُمُ التَّفَرُّقَ وَالِاخْتِلاَفَ، فَإِنَّ

(١) شرح الطحاوية (ص: ١٥٤)

النَّقْلَ وَالرِّوَايَةَ مِنَ الثِّقَاتِ وَالْمُتْقِنِينَ قَلَّمَا تَخْتَلِفُ، وَإِنِ اخْتَلَفَتْ فِي لَفْظِهِ أَوْ كَلِمِهِ فَذَلِكَ الاِخْتِلاَفُ لَا يَضُرُّ الدِّينَ وَلَا يَقْدَحُ فِيهِ، وَأَمَّا الْمَعْقُولَاتُ وَالْخَوَاطِرُ، وَالْأَرَاءُ فَقَلَّمَا تَتَّفِقُ، بَلْ عَقْلُ كُلِّ وَاحِدٍ وَرَأْيُهُ وَخَاطِرُهُ يُرِي صَاحِبَهُ غَيْرَ مَا يُرِي الْآخَرَ. (١)

٢-سبب للثبات وعدم التلون والتنقل بين الضلالات

دَخَلَ أَبُو مَسْعُودٍ عَلَى حُذَيْفَةَ رضي الله عنهما، فَقَالَ: اعْهَدْ إِلَيَّ. فَقَالَ: اعْلَمْ أَنَّ الضَّلاَلَةَ حَقَّ الضَّلاَلَةِ أَنْ تَعْرِفَ مَا كُنْتَ تُنْكِرُ، وَأَنْ تُنْكِرَ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ، وَإِيَّاكَ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ دِينَ اللَّهِ وَاحِدٌ. (٢)

وَقَالَ مَعْنُ بْنُ عِيسَى: انْصَرَفَ مَالِكٌ يَوْمًا إِلَى الْمَسْجِدِ وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى يَدِي، فَلَحِقَهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو الْجَدِيرَةِ يُتَّهَمُ بِالْإِرْجَاءِ. فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! اسْمَعْ مِنِّي شَيْئًا أُكَلِّمُكَ بِهِ وَأُحَاجُّكَ بِرَأْيِي. فَقَالَ لَهُ: احْذَرْ أَنْ أَشْهَدَ عَلَيْكَ. قَالَ: وَاللَّهِ مَا أُرِيدَ إِلَّا الْحَقَّ، اسْمَعْ مِنِّي فَإِنْ كَانَ صَوَابًا فَقُلْ بِهِ أَوْ فَتَكَلَّمْ. قَالَ: فَإِنْ غَلَبَتْنِي؟ قَالَ: اتَّبَعَنِي. قَالَ: فَإِنْ غَلَبْتُكَ؟ قَالَ: اتَّبَعْتُكَ. قَالَ: فَإِنْ جَاءَ رَجُلٌ فَكَلَّمْنَاهُ فَغَلَبْنَاهُ؟ قَالَ: اتَّبَعَنَا. فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا بِدِينٍ وَاحِدٍ وَأَرَاكَ تَنْتَقِلُ!.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: مَنْ جَعَلَ دِينَهُ عَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ. (٣)

٣-في التمسك بالنصوص العصمة والنجاة في الدنيا والآخرة

قال ابن بطال رحمه الله: لا عصمةَ لأحدٍ إلا في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أو في إجماع العلماء على معنى في أحدهما. (١)

---

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٣٩)

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ١٩٠) و شرح أصول اعتقاد أهل السنة اللالكائي (١/ ١٠١)

(٣) الاعتصام للشاطبي ت الهلالي (٢/ ٥٨٨)

قال أبو بكر بن أبي داود في حائيته

تمسك بحبل الله واتبع الهدى. . . ولا تكُ بدعياً لعلك تفلحُ

ودِنْ بكتاب الله والسنن التي. . . أتتْ عن رسول الله تنجو وتربحُ

وقد وضع البخاري ضمن كتابه الجامع الصحيح كتاباً سماه: كِتَاب الاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، ليوضح أن النجاة في الاعتصام بهذين الأصلين.

*** وما هلك من هلك، ولا ضلَّ من ضلَّ إلا بسبب الإعراض عن الدليل، وتحكيم العقول وآراء الرجال.**

قال أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: إِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ رَأَيْتَهُمْ مُتَفَرِّقِينَ مُخْتَلِفِينَ شِيَعًا وَأَحْزَابًا، وَلَا تَكَادُ تَجِدُ اثْنَيْنِ مِنْهُمْ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الِاعْتِقَادِ، يُبَدِّعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، بَلْ يَرْتَقُونَ إِلَى التَّكْفِيرِ، يُكَفِّرُ الِابْنُ أَبَاهُ، وَالْأَخُ أَخَاهُ، وَالْجَارُ جَارَهُ، وَتَرَاهُمْ أَبَدًا فِي تَنَازُعٍ وَتَبَاغُضٍ وَاخْتِلَافٍ تَنْقَضِي أَعْمَارُهُمْ وَلَمْ تَتَّفِقْ كَلِمَاتُهُمْ {تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ}. (٢)

قال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَقَدْ زَلَّ - بِسَبَبِ الْإِعْرَاضِ عَنِ الدَّلِيلِ وَالِاعْتِمَادِ عَلَى الرِّجَالِ - أَقْوَامٌ خَرَجُوا بِسَبَبِ ذَلِكَ عَنْ جَادَّةِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ. (٣)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَنْ فَارَقَ الدَّلِيلَ، ضَلَّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ. وَلَا دَلِيلَ إِلَى اللَّهِ

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٣٢٨)

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٣٩)

(٣) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٨٦٣)

وَالْجَنَّةِ، سِوَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَكُلُّ طَرِيقٍ لَمْ يَصْحَبْهَا دَلِيلُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ فَهِيَ مِنْ طُرُقِ الْجَحِيمِ، وَالشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. (١)

وَقَالَ الْحَسَنُ البصري رحمه الله: الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّالِكِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ، وَالْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرُ مِمَّا يُصْلِحُ، فَاطْلُبُوا الْعِلْمَ طَلَبًا لَا تَضُرُّوا بِالْعِبَادَةِ، وَاطْلُبُوا الْعِبَادَةَ طَلَبًا لَا تَضُرُّوا بِالْعِلْمِ، فَإِنَّ قَوْمًا طَلَبُوا الْعِبَادَةَ وَتَرَكُوا الْعِلْمَ حَتَّى خَرَجُوا بِأَسْيَافِهِمْ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلَوْ طَلَبُوا الْعِلْمَ لَمْ يَدُلَّهُمْ عَلَى مَا فَعَلُوا. (٢)

قال الشافعي رحمه الله:

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ. . . إِلَّا الْحَدِيثَ وَإِلَّا الْفِقْهَ فِي الدِّينِ

الْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا. . . وَمَا سِوَى ذَاكَ وَسْوَاسُ الشَّيَاطِينِ (٣)

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: فَكَيْفَ يُرَامُ الْوُصُولُ إِلَى عِلْمِ الْأُصُولِ، بِغَيْرِ اتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ؟!. (٤)

**** وبعد كل هذه النقولات يتضح لنا أنَّ الفرقة الناجية، استقتْ منهجها من مصدرٍ واحدٍ ألا وهو {الوحي}**

أما لو نظرت إلى غيرهم من فرق الضلال التي تشعبت بهم الأهواء، لوجدتهم جميعاً حادوا عن النهل العذب والنبع الصافي فلذلك أخطأوا الطريق فتجد مثلاً الصوفية مصدر التلقي عندهم الكشوفات التي يصلون إليها والمنامات، وأهل الكلام مصدر

(١) مدارج السالكين(٢/ ٤٣٩)
(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٤٥)
(٣) شرح الطحاوية(١/ ١٨)
(٤) شرح الطحاوية (١/ ١٨)

التلقي عندهم العقليات، والعلمانيون اليوم مصدر التلقي عندهم هو الغرب وما يحدثه من تشريعات، وهكذا تجد أن كثيراً من الطوائف لها مصادر تتلقى منها غير الوحي وغير النصوص الشرعية، وحينئذٍ تستطيع أن تعرف ما سيفرزه هذا التلقي من بدع وأهواء أخرى غير هذه البدعة الأساسية التي هي بدعة الانحراف في التلقي.

وعن بِشْر بْن الْوَلِيدِ الْكِنْدِيّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا يُوسُفَ، يَقُولُ: الْعِلْمُ بِالْكَلاَمِ جَهْلٌ، وَالْجَهْلُ بِالْكَلاَمِ هُوَ الْعِلْمُ. (١)

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّبَّاحُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، يَقُولُ: حُكْمِي فِي أَصْحَابِ الْكَلاَمِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ، وَيُحْمَلُوا عَلَى الإِبِلِ، وَيُطَافُ بِهِمْ فِي الْعَشَائِرِ وَالْقَبَائِلِ، وَيُقَالُ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَأَخَذَ فِي الْكَلاَمِ. (٢)

وقال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يفلح صاحب الكلام أبدا ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل. (٣)

والحمد لله رب العالمين

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٥٣٦)

(٢) شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٨)

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ١٤٧)

الفهـــرس

جذور المشكلة ومنهج الإصلاح ٢
المجاهرة بالمعاصي والمنكرات ٩
خذ من أموالهم صدقة ٢٠
الاستعجال بين الممنوع والمشروع ٣١
خصائص المجتمع الإسلامي ٤٢
أسباب تحصيل البركة ٥٢
الدِّينُ يُسْرٌ ٦٢
ذو النورين عثمان بن عفان ٧٤
وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ٨٤
ملف العدد من خصائص أهل السنة والجماعة - توحيد مصدر التلقي{ الاقتصار في التلقي على الكتاب والسنة} ٩٣